الإصدار 3

دراسات في اليهودية

تأليف

أ.د. محمود محمد مزروعة

أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر وأم القرى

سلسلة دراسات في العقيدة والأديان

دار اليسر

سلسلة

دراسات في العقيدة والأديان

دراسات في

اليهودية

تأليف

الأستاذ الدكتور

محمود محمد مزروعة

أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر وأم القرى

دراسات في

اليهودية

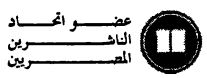

رقم الإيداع

٢٠١٥/٢٣٢٢٧

ترقيم دولي

978-977-794-004-7

دراسات في

اليهودية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

مزروعة، محمود محمد

دراسات في اليهودية

تأليف محمود محمد مزروعة

القاهرة، دار اليسر ٢٠١٥م.

١٦٠ ص، ١٧سم × ٢٤سم.

تدمك ٩٧٨٩٧٧٧٩٤٠٠٤٧

١- اليهودية

أ- العنوان

٢٩٦

دار اليسر للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما يعتبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

٢٠ ش عبد العزيز عيسى ، المنطقة التاسعة ، الحي الثامن

مدينة نصر ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٢ ٢٤٧٠٩٢٦٩ محمول : ٠١٠٦٢٢٧٦٢٠٨

فاكس : ٠٢ ٢٤٧١٤٨٠١ خدمة عملاء: ٠١١١٨٠٠٦٠٦٠

www.dar-alyousr.com

Email:alyousr@gmail.com

info@dar-alyousr.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين- والصلاة والسلام على رحمة الله إلى العالمين – وخير خلق الله أجمعين – وسيد الأولين والآخرين، سيدنا ونبينا محمد – وعلى إخوانه النبيين المرسلين – وآله الطيبين الطاهرين- وأصحابه المهديين الهادين- والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الكتابة في الدين غيرها في الموضوعات الأخرى، لأن الدين هو كلمة الله – تعالى- إلى عباده، إما في فترة محددة، أي إلى نبي حتى يُبْعَثَ نبي آخر، كمثل كلمات الله – سبحانه- إلى الأنبياء قبل محمد ﷺ، وإما في فترة مفتوحة لا نهاية لها إلا نهاية الدنيا، وقيام الساعة، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

والكتابة في الدين تتنوع وتنقسم إلى أقسام كثيرة، وأنواع عديدة.

فمن الكتابة في الدين ابتداءً: أن الناس ينقسمون من حيث التدين إلى نوعين:

الأول: غير متدينين، أي: ملاحدة بإطلاق، منهم: الوجوديون، ولا تستمع إلى من يهرف، فيقول بوجودية مؤمنة- أي: نصرانية- ووجودية غير مؤمنة- أي: ملحدة- أقول: لا تستمع إلى مثل هذا، فالوجوديون جميعًا غير مؤمنين، وعلى رأسهم في الإلحاد زعيمهم الأشهر (كير كجارد)، ومن الملاحدة بإطلاق الشيوعيون الماركسيون، والطبعيون (نسبة إلى الطبيعة)، ومنهم: من يخطئ فيكتب: «الطبائعيون»، وهو خطأ في العربية، وفي الرسم كذلك، ومنهم: الماديون، ومنهم: الذين يصفهم الشرع الشريف بـ «الدَّهْرِيون» نسبة إلى الدهر، من قوله تعالى- في هؤلاء الملاحدة-:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

فأسندوا الحياة والموت إلى الدهر؛ لأنهم لا يؤمنون إلا بالطبيعة والمادة، ولا يؤمنون بوجود إله – وراء كل ذلك- خالق ورازق وَمُدَبِّر لهذا الكون والطبيعة ومتحكم فيها.

الثاني: متدينون، أي: مؤمنون بالدين، ولكن بأي دين يدينون، هنا ينقسمون -أيضًا- إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أناس يدينون بالأديان التي اصطلح على تسميتها: «وضعية»، وقد اصطلح سلفنا من العلماء على تسميتها: «نِحَلًا» مثل: ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، ومثل: الشهرستاني في كتابه المشهور: «الملل والنحل»، وقد أرادوا بالملل: الأديان الكتابية، من قوله تعالى- عن ديننا الإسلام-:

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾[الحج:٧٨].

أي: ديننا هو ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأن الله سمانا المسلمين من قبل، أي: في الكتب السابقة، وفي هذا- أي: في قرآنكم.

أما الأديان الوضعية فهي النحل، من كونها منتحلة، أي: مفتراة مكذوبة، لا أصل لها، وإنما هي مذاهب إصلاحية اعتقد أصحابها أن فيها إصلاحًا لمجتمعاتهم، وقضاءً على مشاكل الناس، لكن الناس اعتنقوها أديانًا، وذلك مثل: الهندوسية، والبوذية والجينية، والزرادشتية.

القسم الثاني: أناس يدينون بأديان كتابية، والمراد بالأديان الكتابية: أديان جاءت من قِبل الله ﷻ، أرسل الله تعالى رسولًا بكلٍّ منها إلى قومه، وأنزل عليه كتابًا خاصًّا برسالته تلك، لكن قومه حرفوا الكتاب أو ضيعوه؛ فاليهود حرفوا كتاب رسولهم موسى، وهو التوراة، يقول تعالى- عن تحريفهم التوراة-:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣].

وكان رسول الله الذي جاء بالتوراة إلى قومه من بني إسرائيل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاءهم بالتوراة، لكنهم حرَّفوها وأخفوا كثيرًا من تعاليمها، ومن شرائع الله لهم فيها، وأضافوا إليها من عندهم، ومن ثم جاءوا بدين غير دين الإسلام الذي جاء به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يقول الله تعالى- مخاطبًا إيانا عنهم، ومبينًا لنا حقيقتهم-:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام:٩١].

أما النصارى فقد أرسل الله تعالى إليهم عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم- على نبينا

وعليه أفضل الصلاة والسلام- وأنزل الله تعالى على عيسى ابن مريم كتابًا هو الإنجيل من بعد ما أنزل على موسى التوراة، قال تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[المائدة:٤٦-٤٧].

لكن النصارى ضيعوا الإنجيل الحقيقي كتاب الله المنزل على نبيهم ورسولهم عيسى ابن مريم، وجاءوا بأناجيل كاذبة مفتراة، ولكنهم كانوا صادقين بالنسبة لهذه الأناجيل، حيث إنهم لم يزعموا أن إنجيل عيسى ابن مريم من بينها، بل نسبوها إلى العديد من الأشخاص الذين لا ندري عنهم شيئًا سوى أسمائهم التي اخترعها المفترون، وهذه الأسماء لا تعني شيئًا عند القارئ والباحث مهما اجتهد المفترون أن يخترعوا لها تاريخًا، وعملًا، ومعجزاتٍ أو آثارًا، فليس لأحد من الذين أسندوا إليهم واحدًا من أناجيلهم تاريخ حقيقي معروف، ثم إن أناجيلهم لا تحمل أية سمات أو علامات من سمات وعلامات الكتب الإلهية التي فيها كتاب الله المنزل على عيسى ابن مريم (الإنجيل)، ثم إن هذه الأناجيل تحمل في طياتها أدلة بطلانها، وأقول أدلة وليس دليلًا واحدًا، وسنرى ذلك- بحوله تعالى- عند الحديث عنها في مكانه من البحث الذي بين أيدينا.

قال الله تعالى عن تضييع النصارى كتابهم والعبث به ونسيان ما ورد عن الله فيه:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:١٤].

وقد غير النصارى دين الله الحق الذي جاء به عيسى ابن مريم- على نبينا وعليه السلام- ومن قبلهم فعل اليهود ذلك، فسماهم الله تعالى في كتابه الكريم: «أهل الكتاب»؛ لما أن دين كل منهما كان قائمًا على كتاب أنزله الله تعالى على الرسول الذي أرسله الله تعالى إلى كل منهما ونحن نُسميهم بما سماهم الله تعالى به، ولولا أن الله تعالى أسماهم أهل الكتاب ما أسميناهم بذلك؛ لأنهم بدلوا وضيعوا كتب الله ﷻ، ولكن الله تعالى أسماهم بذلك فأسميناهم بما أسماهم الله تعالى به، وقد ورد اسم «أهل الكتاب» في القرآن الكريم أربعًا وخمسين مرة، منها: قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ

﴿تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[المائدة:١٥].

ثم إن النصارى فعلوا شيئًا بالنسبة لرسولهم عيسى ابن مريم لم يفعله أحد من قبلهم مع رسولهم الذي أرسل إليهم، ذلكم أن النصارى جعلوا رسولهم شريكًا لله ﷻ وجعلوه ابنًا لله، ثم ازدادوا افتراءً وكذبًا حيث جعلوا العلاقة بين الله ﷻ وعيسى ابن مريم مُنتجة لإله ثالث سموه: «الله الروح القدس» فالله الثالث الذي أسموه: «الروح القدس» وُجد نتيجةَ المحبة المتبادلة بين الله (الآب)، والله (الابن) فالمحبة بين الاثنين أنتجت إلهًا ثالثًا، ولسنا ندري لماذا توقفت المحبة عن الإنتاج، وكان ينبغي أن تكون المحبة أكثر إنتاجًا؛ فإن المحبة بين اثنين أنتجت إلهًا، وحين صارت متبادلة بين ثلاثة كان ينبغي أن يكون الإنتاج أكثر، فينتج من الحب المتبادل بين الثلاثة إلهان أو ثلاثة؛ لأنه أكثر مما بين الاثنين، لكنهم يزعمون أن الحب المتبادل بين الاثنين والإله الثالث لم ينتج آلهة، وهذا تحكم مرفوض، وقياس فاسد.

فإما أن المحبة بين إلهين تولد ثالثًا، فيكون الحب بين ثلاثة يولد إلهين- كذلك- وهكذا يتسلسل الأمر، وإما أن يكون الكلام الذي ذكره هؤلاء وأقاموا عليه عقيدتهم، وبنوا عليه دينهم، كلامًا باطلًا، لا حقيقةَ له.

القسم الثالث: يدين بدين الله الحق (الإسلام).

ودين الله الإسلام هو الدين الذي أرسل الله به رسله وأنبياءه إلى الناس أجمعين، وبه جاء جميع الرسل، وأُنزلت جميع الكتب، فالرسل والأنبياء، والكتب التي أُنزلت عليهم، جاءت وجاءوا بدين واحد، هو دين الله الحق الإسلام، فالدين الذي هبط به آدم من الجنة إلى الأرض هو الإسلام، والدين الذي جاء به محمد صلوات الله عليه وعلى إخوانه، هو الإسلام، فجميع أنبياء الله ورسله جاءوا مسلمين يدعون إلى الإسلام؛ لقول الله سبحانه- مخاطبًا أمة محمد-:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورى:١٣].

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩].

ويقول تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وكلمة الله إلى الناس عن طريق أنبيائهم لا سبيل إلى الكتابة فيها إلا بأحد أمرين:

الأول: أن يبين الله للناس ماذا قال الله -تعالى- على رسله أو رسوله صلوات الله وسلامه عليهم، أي يبين لهم دين الله معتمدًا على كتب الله، وكلام رسله الثابت يقينًا.

الثاني: أن يبين تحريف الناس كلام الله، وضلالاتهم في دين الله ورسالات أنبيائه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والأمر في كلا الحالين يحتاج إلى فهم دقيق، وعلم عميق بما تتكلم عنه،أو تتكلم فيه، لأنك في كلا الحالين تتكلم عن دين الله، وكلامك عن دين الله لا يكون -كما ذكرنا- إلا عن فهم وعلم؛ لأن خطأ في دين الله ليس مثل أي خطأ، ولأن خطأ في دين الله يتبعه إضلال الكثيرين الذين يأخذون عنك.

ومن الكلام عن دين الله -تعالى- كلامنا عن اليهودية، وموقف اليهود فيها ثم عنها، فهم تكلموا فيها فأفسدوا وأضلوا، ثم تكلموا عنها فازدادوا إفسادًا وإضلالا.

واليهودية ليست دين الله الذي جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، و إنما هي دين جاء به اليهود على أنقاض رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن حرفوا رسالته، وبدَّلوا الكلام الذي جاء به موسى، يقول الله -تعالى- عنهم:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

ويقول تعالى عن اليهود:

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦].

فاليهود حرفوا رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيهم ورسولهم، ثم دسوا أنوفهم المعقوفة في رسالته عَلَيْهِ السَّلَامُ فغيروا وبدلوا حسب هواهم وما يتمنون، فتكون من كل ذلك ديانتهم الباطلة التي أضحى اسمها «اليهودية».

فاليهودية ليست هي رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هؤلاء القوم الخبثاء، ولكن اليهودية هي دينهم بعد أن حرفوا كلمة الله إليهم، أما موسى فقد جاءهم بدين الله الحق: الإسلام الذي جاء به جميع

الأنبياء، وبعث به جميع الرسل، فلا يهودية ولا نصرانية، ولكن الإسلام، والإسلام فقط. ولقد قال السحرة حينما عرفوا الحق حيث ألقى موسى عصاه فتحولت بقدرة الله – تعالى- إلى ثعبان عظيم، حينذاك عرفوا الحق، فتوجهوا إلى الله سبحانه قائلين:

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ولقد كان اليهود من قساوة قلوبهم، وغلظ أكبادهم، وفساد طباعهم لا يكتفون بأنهم ضالون، قد حرفوا كتاب الله الذي أنزله إليهم على يد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكنهم بعد أن حرفوا التوراة، وبدلوا دين الله، يدعون الناس إلى ضلالهم، ويرفضون الحق الذي يدعونهم الناس إليه، يقول –تعالى-:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وقد يظن ظان أنهم مع النصارى على وفاق ما دامت الدعوة جاءت من الطرفين، ولكنهم يرفضون النصارى ويكذبون دينهم، يقول –تعالى- عنهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [البقرة: ١١٣].

وهم بهذه الحال بحاجة ملحة وحقيقية إلى من يبين عقيدتهم وشرائعهم، ويوضح ما هم عليه من ضلال، ويبين لهم أن ضلالهم ضلال مركب، فرسالتهم في حال حقيقتها، ودونما تحريف قد نسخت برسالة محمد ﷺ، فكيف إذا كانوا هم قد حرفوها وبدلوها حال كونها صحيحة وقبل أن تنسخ.

إننا في هذا المؤلف الذين بين أيدينا نفعل هذا الذي أشرنا إليه، نبين حقيقة ما عليه هؤلاء المغضوب عليهم، ونبين ضلال ما هم عليه، ونيسر على القارئ فهم اليهودية الحالية، ونقرب إليه نقاط فسادها وفساد هؤلاء الذين يتمسكون بها.

والله من وراء القصد.

سبحانك اللهم وبحمدك.. أشهد أن لا إله إلا أنت .. أستغفرك وأتوب إليك.

محمود محمد مزروعة

مدينة نصر ٨ ربيع الثاني ١٤٣٧هـ
الموافق ١٨ من يناير ٢٠١٦م

الفَصْلُ الأَوَّلُ

بنو إسرائيل بين القرآن العظيم والتوراة اليهودية

- المبحث الأول: في أسماء بني إسرائيل.
- المبحث الثاني: القصص الإسلامي.
- المبحث الثالث: الرواية اليهودية.
- المبحث الرابع: بنو إسرائيل.
- المبحث الخامس: بنو إسرائيل في فلسطين.

المبحث الأول

في أسماء بني إسرائيل

في تسميتهم بالعبريين

ذكر الباحثون لهذه التسمية ثلاثة أسباب:

الأول: أن هذه التسمية لحقت بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما عبر نهر الأردن، أو نهر الفرات.

وأكثر الباحثين يميلون إلى هذا الرأي، ومما يشهد له: ما جاء في سفر يشوع إشارة إلى عبور يشوع عَلَيْهِ السَّلَامُ نهر الأردن تنفيذًا لأمر الله -تعالى-.

يقول كاتب السفر:

«وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلَّم يشوع بن نون خادم موسى قائلًا: موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم، أي: لبني إسرائيل، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى»[1].

الثاني: أن إبراهيم سُمي بذلك نسبة إلى أحد أجداده الذي يسمى «عبر»، أو «عابر» ولكن هذا الرأي يلقى معارضة من بعض الباحثين؛ لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) سفر يشوع، (١: ١-٥).

بينه وبين جده هذا ستة أجيال، فلو أنه شاء أن ينتسب إلى جد من أجداده لاختار أقرب أجداده، أو أشهر أجداده وهو «سام» ابن نوح.

الثالث: أن هذه التسمية لحقت بإبراهيم وقومه؛ نظرًا لكثرة ترحالهم وانتجاعهم، وهجرتهم من مكان إلى مكان.

فهي مأخوذة مِن عَبَرَ المكانَ، أي: اجتازه، وعلى هذا فكلمة «عبري» تعني: «بدوي» ومما يشهد لهذا الرأي: أن هذا المعنى موجود في العربية والعبرية على السواء، مرتبطًا بهذه المادة: «عبر».

ولكن مما يعارض هذا الرأي ويضعفه أن جميع السكان القاطنين بهذه المنطقة على عهد الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يصدق عليهم هذا الإطلاق بهذا المعنى، فكلهم كانوا من الأقوام الرُّحَّل، أو مرت بهم هذه التجربة، قبل أن يستقروا في مكان معين ويستوطنوه، فلا بد لهذه التسمية من سبب آخر يفسر اختصاصها بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه دون هؤلاء جميعًا.

هذه هي الآراء التي تقال في تعليل تسمية بني إسرائيل بالعبريين، وقد يتعصب بعض الباحثين لواحد منها دون غيره، ولكن ذلك عبثٌ؛ فنحن - على ذلك البعد الشاسع من زمن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ والظروف التي مرت به وبقومه وبعلاقته بالأقوام الآخرين- لا نستطيع أن نجزم برأي، أو حتى نرجح رأيًا، فالألقاب تعلق بأصحابها لأدنى الملابسات، وربما كان هناك من الملابسات ما لم نطلع عليه، ونحن على هذا البعد تخطئنا أَقْوَى الملابسات فضلًا عن أدناها.

في تسميتهم باليهود

وقد ذكر الباحثون تعليلًا لهذه التسمية ثلاثة آراء:

الأول: أنهم سُموا بذلك حين تابوا إلى ربهم وقالوا:

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

أي: تبنا ورجعنا.

قال الشهرستاني في الملل والنحل:

«هاد الرجل، أي: رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم؛ لقول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٥٦].

أي: رجعنا وتضرعنا» (١).

وقال صاحب لسان العرب: «الهَوْدُ: التوبةُ، هاد يهود هَوْدًا: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد، ويهود اسم القبيلة، وقالوا: اليهود، فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب، يريدون: اليهوديين».

الثاني: وقيل: إنهم سموا بذلك؛ لأنهم يتهوَّدون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة.

ولكن التحرك، أو التمايل عند القراءة ليس خاصًّا باليهود عند قراءة التوراة،

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ١٩٢) تخريج الدكتور: محمد بن فتح الله بدران.

فالمسلمون يتمايلون عند قراءة القرآن، فلا بد من وجه صحيح يعلل اختصاص التسمية بهؤلاء دون غيرهم.

الثالث: قيل: إنهم سُمُّوا بذلك نسبة إلى «يهوذا» ابن يعقوب، وهذا الرأي هو الذي نميل إليه؛ لأسباب كثيرة، أهمها:

أ- أن يهوذا كان المفضل عند أبيه، وكان المقدم على إخوته والرئيس عليهم.

ب- كان سبطه من بعده سيد الأسباط الأخرى، وأكثرها عددًا.

جـ- حين انقسم ملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مملكتين، كانت إحدى المملكتين باسم «يهوذا» وظلت هذه المملكة زمنًا قائمة وحدها تمثل الأمة اليهودية بعد أن تلاشت المملكة الأخرى.

د- منذ أن انتهت مملكة إسرائيل ولم تَبْقَ إلا مملكة «يهوذا» تعلقت بها عقول اليهود وقلوبهم، وأصبح اسم يهوذا عَلَمًا على الجنس كله، كما هو عَلَمٌ على المملكة التي تمثلهم.

وبعد أن انتهت هذه المملكة- أيضًا- أصبح اسمها أملًا في وجدان الجنس كله، ورمزًا لكيان الأمة اليهودية.

هـ- أن انتساب هذه الأمة إلى عَلَمٍ من أعلام أبنائها المشاهير أرجح وأقرب إلى الصواب؛ إذ له سابقة عندهم بانتسابهم إلى عَلَمٍ آخرَ من أعلامهم هو إسرائيل الذي هو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذه كتلك، والأولى تُرَجِّحُ الثانية.

في تسميتهم ببني إسرائيل

وقد سُمُّوا بذلك انتسابًا إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم جميعًا وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ويعقوب هو إسرائيل:

وفي سبب تسميته إسرائيل تحكي التوراة اليهودية حكاية عجيبة!

تقول التوراة اليهودية:

«... فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فَخِذِه، فانخلع حُقُّ فَخِذِ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعدُ يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلًا: لأنني نظرت الله وجهًا لوجه، ونجيت نفسي»[1].

فالتوراة اليهودية تزعم أن الله صارع يعقوب ولم يستطع التغلب عليه، بل لم يستطع أن يفلت من يده حتى توسل إليه، وأنه سماه إسرائيل بدلًا من اسمه السابق يعقوب؛ حتى يخلي يعقوبُ سبيلَه.

---

(١) سفر التكوين، ٣٢: ٢٤- ٣٠.

وإسرائيل كلمة عبرية معناها: (عبد الله، أو صفي الله)، وهي مركبة من لفظين: «إسرا» بمعنى: عبد، و«إيل» بمعنى: الله.

وقد ورد في الكتاب العزيز ذكر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في مواضعَ كثيرةٍ، منها: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وجاء ذكره باسم إسرائيل في موضعين، منهما قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ [مريم: ٥٨].

وقد جاء ذكر اليهود في القرآن الكريم باسم «اليهود» وكذلك باسم: «بني إسرائيل» أما اسم العبريين فلم يرد له ذكر في كتاب الله تعالى.

والقرآن الكريم يكثر من ذكرهم باسم «بني إسرائيل» عندما يريد أن يُذَكِّرَهم نعم الله عليهم، ويدعوهم إلى الطريق المستقيم، ولكنه يكثر من ذكر اليهود عندما يشير إلى كفرهم وجحودهم وافترائهم على الله وذكر فضائحهم وقبائحهم.

ولعل الله- سبحانه- يذكر اسم: «بني إسرائيل» عند دعوتهم إلى الهداية وتذكيرهم بنعمه؛ لأن فيها تذكيرًا لهم بأبيهم نبي الله، وكأن الله يريد أن يقول لهم: أنتم أولاد الأنبياء وجدير بكم- بمقتضى هذه الصفة- أن تستقيموا ولا تنحرفوا وأن تكونوا أول مؤمن بي، وليس أول كافر كما هي حالكم.

المبحث الثاني

القصص الإسلامي

تاريخ قديم

إن البحث في هذا الموضوع يرتبط بالكلام على وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، فمن قديم الزمان والجزيرة تمثل منبعًا هائلًا للهجرات البشرية.

فهي بقحطها وجفافها تدفع بسكانها إلى الانتجاع والهجرة إلى أماكن فيها العيش السهل والحياة الميسرة على قدر الإمكان.

ومنذ حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد نرى أفواجًا من الهجرات المتتالية من الجزيرة العربية إلى الشمال.

وبقدر ما وعى التاريخ وتكلمت الآثار، يذهب المؤرخون إلى أن قبائل الفينيقيين كانت أسبق هذه الجماعات المهاجرة.

وقد خرجت هذه القبائل من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال، ثم إلى الشمال الغربي، حيث استقرت على شريط ضيق من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

وهذا الشريط يحده البحر من الغرب، والجبال الشاهقة من الشرق؛ مما دفع الفينيقيين إلى ركوب البحر حتى صاروا سادة البحار من قديم، ورسل الحضارة بين الشرق والغرب.

وبعد هذه القبائل بزمن يسير تبعتها قبائل عربية أخرى إلى نفس المنطقة،

وهذه القبائل هي قبائل الكنعانيين، وقد نزلت على الساحل الشرقي للبحر الأبيض جنوبًا من قبائل الفينيقيين، ويذكر العلماء تاريخًا لهذه القبائل الأخيرة حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد.

وقد أطلق على الأرض التي سكنتها القبائل الأخيرة أرض الكنعانيين، أو أرض كنعان نسبة إليهم.

وقد اهتم الباحثون قديمًا وحديثًا بهذه القبائل والمنطقة التي يسكنون بها، نظرًا إلى كثرة ورودها في التوراة اليهودية، وارتباط كثير من أحداثها بهذه القبائل.

وقد ظل اسم كل قبيلة يغلب على المنطقة التي نزلت بها من الساحل الشرقي للبحر الأبيض، حتى هاجر إلى هذا الساحل بعض القبائل قادمة من جزيرة «أقريطش»، أو جزيرة «كريت»، وكانت هذه القبائل تسمى قبائل «فلسطين»، أو «بلاسطين» وكانت هذه القبائل من القوة والسلطان بحيث غلب اسمها على المنطقة كلها، فأصبح اسم المنطقة «فلسطين».

وغير هذه القبائل المتقدم ذكرها وجدت قبائل أخرى سكنت المنطقة، أهمها: القبائل الآرامية التي قدمت من حوض الفرات.

وكان هناك إلى جانب الساحل الشرقي للبحر الأبيض دار أخرى للهجرة من الجزيرة العربية أسبق من تلك، هي حوض دجلة والفرات وما بينهما وحولهما من أرض خصبة.

ولقد كانت هذه المنطقة هي الهجرة الأولى للقبائل العربية، حتى إذا ازدحمت خرجت منها بعض القبائل متجهةً إلى الغرب والشمال الغربي حتى ساحل البحر

الأبيض المتوسط الذي أشرنا إليه.

ومن هذا يتبين لنا: أن الساحل الشرقي للبحر الأبيض كان يتلقى الهجرات من جهتين:

الجهة الأولى: شمال ووسط الجزيرة العربية كالقبائل الفينيقية.

الجهة الثانية: من حوض نهر الفرات ودجلة، ومن المعروف: أن كثيرًا من القبائل التي كانت تسكن حوض الفرات ودجلة هي في أصلها قادمة من الجزيرة العربية، فالجزيرة العربية على هذا هي منبع للهجرات سواء إلى حوض الفرات ودجلة، أو إلى ساحل البحر الأبيض.

العبريـون

ومن بين القبائل التي انتقلت من الجزيرة العربية: القبيلة التي ينتسب إليها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فالعبريون ينتسبون إلى العِرق السامي الذي ينتسب إليه العرب، وقد هاجر فريق من هذه القبيلة إلى العراق، ثم هاجر منهم فريق آخر من بابل إلى أرض الكنعانيين على ساحل البحر الأبيض، وكانت الهجرة الثانية بقيادة أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي ترك قبيلته ببابل بالعراق وهاجر إلى ساحل البحر الأبيض، ولهجرة الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قصة أوفاها القرآن الكريم توضيحًا وتبيانًا.

وكذلك كُتب عنها كثير في التوراة اليهودية.

وسوف نكتب عن قصة هذه الهجرة كما تقصها علينا المصادر الإسلامية، ثم نتبعها بالقصة كما ترويها المصادر اليهودية.

القصص الإسلامي

تنص المصادر الإسلامية على أن إبراهيم ﷺ نشأ بين قوم يعبدون الأصنام، وفي ظل مَلِكٍ يُؤَلِّهُ نفسَه، وكان والد إبراهيم صانع أصنام.

وحياة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل البعثة لا نجد عنها شيئًا يُذكر، اللهم إلا بعض الأخبار والروايات التي يغلب أن يكون مصدرها الإسرائيليَّات التي أشاعها كعب بن ماتع الحميري الملقب بكعب الأحبار، وكذلك وهب بن منبه، وهما من مسلمي اليمن الذين كانوا قبل الإسلام على علم بالديانة اليهودية، وقد زادا كثيرًا، وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينهي كعب الأحبار عن أحاديثه وأخباره، وقد سخر منه عندما زعم له أن مقتله موجود في التوراة.

ومن هذه الأخبار التي نشير إليها ولا نعتمدها: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد في زمن كان النمروذ- وهو ملك يدَّعي الألوهية- يقتل فيه كل طفل، ويَبْقُر بطن كل حامل، وأن أمه ولدته خارج المدينة في أحد الكهوف، وأنه كان يرضع أصبعه، وأن أمه ذهبت لتراه بعد أيام من ولادته فوجدته صبيًّا يسعى، وأخذ يجادلها في الله، ويبين لها أن النمروذ ليس إلها وأن الله الحق هو مالك النمروذ والمتسلط عليه.

وأن والده علم بذلك فنقل الخبر إلى النمروذ، فأتى به وجادله... إلى آخر هذه الروايات الكثيرة التي نبَّهنا على أننا لا نعتمدها؛ لأننا نتكلم عن المصادر الإسلامية.

والمصادر الإسلامية في رأينا تقف عند حدود الكتاب والسنة، وما هو شرح وتفسير لهما، وفي حدودهما وإطارهما دون تزيُّدٍ أو اختلاق.

يقول الإمام الحافظ ابن كثير:

«ومما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب- وهو رضيع- وأنه خرج منه بعد أيام، فنظر في الكواكب والمخلوقات، فتبصر فيها، وما قصَّهُ كثير من المفسرين وغيرهم حول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعُمْدَتُها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق- مما بأيدينا عن المعصوم- قبلناه؛ لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه؛ لمخالفته الحقَّ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة توقَّفنا فيه فلا نصدقه ولا نكذبه، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخَّص كثير من السلف في روايته، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبيَّنته هذه الشريعة الكاملة».

ثم يبين الحافظ ابن كثير أضرار الأخذ بهذه الإسرائيليَّات، فيقول:

«... لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم؛ فإنهم لا تفرقةَ عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ المُفتون من هذه الأمة»[1].

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نشأ في قوم يعكفون على أصنام لهم، يدينون لها بالعبودية، فقام فيهم ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله الحق، ولكنهم لجُّوا في عنادهم، ويحكى لنا الكتاب العزيز صورًا من دعوته عَلَيْهِ السَّلَامُ وجدالهم، والمناظرات التي كانت تحدث بينه وبينهم.

فمن هذه المناظرات: ما جرى بينه وبين مَلك القوم، ومنها: ما جرى بينه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٣/ ١٨٢ - ١٨٣).

وبين والده، ومنها: ما جرى بينه وبين قومه عامة، ومنها: ما ترك فيه أسلوب المناظرة النظرية، وسلك السبيل العملي.

فمن مناظرته لقومه: قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١- ٧١].

فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه الآيات ناظَرَ قومَه فلم يقنعوا بالمنطق النظري، فأراد أن يقيم الدليل عمليًّا على عجز آلهتهم عن حماية نفسها فضلًا عن حمايتها إياهم، ولكن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يلجأ إلى هذا الأسلوب العملي إلا بعد أن أعيت مذاهبه

مع قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو تارة يجادلهم الجدل العقلي البين، وتارة يقرن مناظرته العقلية بالأدلة الطبيعية الكونية.

يقول- تبارك وتعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٤- ٧٩].

وواضح أن هذه كانت رحلةً فكرية قطعها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، ابتدأت بعقيدتهم الباطلة سايرَهم عليها الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليظهر بطلانها لهم، ثم انتهت الرحلة بعد أن تدرج بهم خطوة وراء خطوة على إبطال عقيدتهم، وإطلاعهم على العقيدة الحقة التي هي عبادة الله الحق.

وغير هذا غير مقبول، فهذه الرحلة كلها كانت على مشهد من قومه، بدليل قوله- في نهايتها-:

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وواضح أن هذا الأسلوب هداه إليه ربه حجةً على قومه حتى يُفحِمَهم، بدليل قوله- تبارك وتعالى في ختام الواقعة-:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وإذن فالأمر كله لم يكن سوى جدل في الله يحتاج إلى حجة، وهذه هي طريقة إبراهيم التي سلكها معهم.

وإبراهيم يقف أمام جبار القوم المتأله ليجادله في الله.

يقول- تبارك وتعالى-:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكما هي العادة، يلجأ الحاكم الظالم إلى جبروته الغاشم، يحاول أن يدفن فيه حقيقة انحرافه، ويغطِّي بضوضائه على آثار فشله، ويخلق منه صخبًا يعلو على وخزات ضميره، وكانت النتيجة أنهم أجمعوا رأيهم على إحراق الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يقول تعالى:

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨- ٧٠].

ويُصر إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على دعوة أبيه رغم كل هذا، رغم أن كل دعوة وكل مناظرة كان يبدأ بها أباه قبل قومه:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ ... ﴾ [الشعراء: ٧٠].

وينقل لنا الكتاب العزيز مناظرة إبراهيم لأبيه، تتجلى فيها أعظم آيات الرحمة بالوالد، والبر به، والحرص عليه.

يقول- تبارك وتعالى-:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ

صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

ويبدو أن هذه الآيات تعبر عن محاولة أخيرة من إبراهيم لهداية أبيه، وأنه- صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم- عندما عزم على الهجرة وفقد الأمل في هداية الضالين من قومه عَزَّ عليه أن يترك أباه؛ لما يجمعه به من رَحِم، وما له عليه من واجب البر، دون أن يبذل معه محاولة أخيرة، لعل الله يهديه.

ولكنَّ أباه يندفع في ضلاله إلى النهاية، فيتهدده بالرجم بعد الحرق، ومع كل هذا تصل رحمةُ الخليل القمةَ حين يطلب له أبوه الهلاكَ فيطلب هو له الرحمةَ والهدى، وتكون آخر كلماته له:

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ﴾ [مريم: ٤٧].

ويبدو أن ذلك كان آخر عهد إبراهيم بقومه، فعندما وجد الخليل إعراضًا تامًّا من قومه عن دعوته، ووجد ألا جدوى من بقائه بينهم، بل وجد في بقائه ما يهدد حياته ومبادئه ودعوته، وعندما أذن الله له بالهجرة خرج ﷺ إلى الأرض التي هداه الله إليها، وأذن له فيها، إلى الأرض التي بارك الله فيها، كما ذكر تبارك وتعالى:

﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وكأني بهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الأرض التي هاجر إليها الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تكن دار هجرة له هو فحسب، بل إن الله تعالى جعلها دارًا لقبائل كثيرة من أنحاء

شتى، ووضع فيها البركة لهؤلاء الذين ضاقت عنهم أرضهم، من الرزق الكثير والعيش السهل اليسير.

وهنا تلتقي اللمحات الإلهية من الوحي الإلهي مع الواقع الموضوعي الذي يؤيده التاريخ والآثار والحفائر، ونظرة فاحصة إلى الآية الكريمة نستقي ونطلع منها على تاريخ حافل ظل العلماء مئات السنوات يواصلون البحث ليصلوا إليه، ذلك هو تاريخ المنطقة- منطقة الساحل الشرقي للبحر الأبيض- فلقد ظل العلماء مئات السنين يبحثون لكي يصلوا أخيرًا إلى أن هذه المنطقة كانت مهجرًا لكثير من القبائل والجماعات من جهات كثيرة، كلما ضاقت بهذه القبائل، أو الجماعات سبل العيش في مواطنها، وجاءت الآية الكريمة من الكتاب الكريم لتنبئ عن هذا كله؛ فقد قال- تعالى-:

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

ولو قال- تعالى-: «باركنا فيها لإبراهيم» لتغير الوضع كله، ولما فهمنا من ذلك تاريخ المنطقة، ولكنه تعالى قال: «للعالمين»، فأشار إلى أن المنطقة كانت مهجرًا لشتى القبائل قبل وبعد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١- ٤٢].

هاجر إبراهيم ومعه ابن أخيه لوط وزوجه سارة وبعض الخدم والأتباع الذين لا بد وأن يكونوا قد آمنوا به واتبعوه.

ولكننا نقف هنا وقفة لنتساءل: متى كانت هذه الهجرة؟ وإلى أين؟ أو بمعنى آخر: نقف لنتساءل عن زمان الهجرة ومكانها، والكتاب العزيز لم يذكر لنا شيئًا عن الزمان إطلاقًا، وعن المكان لم يذكر إلا إشارة صغيرة هي صفة مكان لا

تغني كثيرًا في بيانه، إلا على ضوء البحوث التاريخية التي تستمد من الواقع وتقوم على الموضوعية.

وفيما يتعلق بالمكان فالآراء مجمعة لدى الباحثين والمؤرخين وأصحاب الديانات أن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ هاجر من مدينة أور ببابل بالعراق، إلى أرض الكنعانيين على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

وفيما يتعلق بتاريخ هذه الرحلة، فقد اختلفت آراء الباحثين حول تاريخها اختلافًا كبيرًا، ولكن الاختلاف قد يعطي- في كثير من الأحيان- ما يعطيه الاتفاق، إلا أن الشُّقَّة بين الطرفين تكون فسيحة، والباحث لا يطمع فيما هو أكثر من هذا بالنسبة لتاريخ قديم كتاريخ الخليل صلوات الله عليه، فيرى كثير من الباحثين أن رحلة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تمت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م، ويرجح بعضهم حدوثها سنة ١٧٥٠ ق.م.

وينقل العقاد عن كتاب (تعليقات موجزة على الكتاب) لمؤلفه (جوزيف أنجوس) وهو- كما يقول- من أكبر فقهاء اللاهوت:

«أن الآثار تحتمل أن أمراقل الذي حارب إبراهيم هو حمورابي الذي كان ملكًا على بابل سنة ٢٠٠٠ ق.م» [(١)].

وينقل الأستاذ العقاد- أيضًا- عن (آرث كلارك):

«أن عمر الآباء العبريين في كنعان بين سنتي ١٩٠٠، ١٧٠٠ ق.م» [(٢)].

---

(١) أبو الأنبياء، للعقاد (ص٦٢).

(٢) المرجع السابق (ص٦٤).

وينقل العقاد- أيضًا- عن أطلس وستمنستر:

«أن عمر إبراهيم بين سنتي ٢٠٠٠، ١٧٠٠ ق م»[١].

ومن هذه النقول كلها نستطيع أن نقول: إن الباحثين يكادون أن يجمعوا على أن هجرة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حدثت فيما بين ٢٠٠٠، ١٧٠٠ ق م.

وهذه التواريخ لا تُلقَى جزافًا، وإنما تقوم على أساس من الدراسات والآثار والحفائر والمقارنات، فهي- وإن كانت الشقة بعيدة بين طرفها، كما ذكرنا- حسبنا في مثل تاريخ الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يفصل بيننا وبينه آلاف كثيرة من السنوات.

ولا يطول المقام بالخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في هجرته الجديدة حتى تحدث مجاعة تدفعه إلى النزوح إلى مصر، وفي الطريق وهو على أبواب مصر يطلب الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ من سارة زوجه أن تزعم أنها أخته حين تُسأل عن ذلك في مصر؛ خوفًا من أن يقتله المصريون حين يعلمون أنه زوجها؛ لتخلو هي لهم، حيث كانت سارة مشهورة بجمالها النادر.

ويعلم فرعون بجمال سارة فيسأل إبراهيم عنها فيعلمه أنها أخته، فيستولي عليها فرعون لنفسه، وحين يمد يده إليها يقبضها الله قبضة شديدة، وتنجو سارة من كيد فرعون برعاية الله إياها، وتنال سارة من فرعون جارية لها، وينال الخليل خيرًا كثيرًا، وفي البخاري ذكر لهذه الحادثة نذكره فيما يلي:

«حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا ثلاث كذبات، ثنتين منها في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقال: بينا**

---

(١) المرجع السابق (ص٦٧).

هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل له فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فَأُخِذَ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعتْ فَأُطْلِقَ، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، وإنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده مهيم؟ قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر في نحره، وأخدم هاجر. قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء»[1].

ويخرج إبراهيم من مصر ليعود إلى الشام مرة أخرى إلى مكانه الأول قبل نزوحه إلى مصر.

ويفترق عنه ابن أخيه لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدخل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهاجر فتحمل منه وتلد له إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن سارة تغار منها، وتطلب من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يطردها وابنها، ويأمر الله- تعالى- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحمل هاجر وابنها إلى مكة، ويفعل الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما أمره ربه.

وفي البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: «أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتخفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١)، فتح الباري بشرح البخاري، للحافظ العسقلاني (٦/ ٣٠١- ٣٠٤).

المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثم قفَّى إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أتذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ قالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، فرفع يديه، فقال:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتى بلغ: ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى- أو قال: يتلبط- فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا؟ فلم تَرَ أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبي ﷺ: **فذلك سعيُ الناسِ بينهما**، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا، فقالت: صه- تريد نفسها- ثم تسمعت، فسمعت- أيضًا- فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث [فأغث]، فإذا هي بالملَك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو قال: بجناحه- حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف- وفي رواية: بقدر ما تغرف- قال ابن

عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال النبي ﷺ: **رحم الله أمَّ إسماعيل لو تركت زمزم**- أو قال: **لو لم تغرف من الماء- لكانت زمزم عينًا معينًا**، قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملَك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن ها هنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرَّابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُمٍ، أو أهل بيت من جُرْهُمٍ مقبلين من طريقِ كَدَاءٍ، فنزلوا في أسفل مكة؛ فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنَا بهذا الوادي، وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جَرِيًّا، أو جَرِيَّيْنِ، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم؛ فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الأنس**، فنزلوا، فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات، وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم أنفسهم، وأعجبهم حين شَبَّ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيلَ؛ فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا- وفي رواية: يصيد لنا- ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة؛ وشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام، وقولي له: يُغَيِّر عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، فسألني: كيف عيشنا، فأخبرتُهُ أنَّا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غَيِّرْ عتبةَ بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك! الحقي بأهلك، فطلَّقها وتزوج منهم أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسأل عنه، قالت: خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله- تعالى-، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي: **ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه**، قال: **فهما لا يخلو عليهما أحدٌ بغيرِ مكةَ إلا لم يوافقاه.**

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يُثَبِّتُ عتبةَ بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة- وأثنت عليه- فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاكِ بشيء؟ قالت: نعم، يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تُثَبِّتَ عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أُمسكَكِ.

ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد.

قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربُّك، قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني بيتًا ها هنا، وأشار إلى أَكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]» [(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤)، فتح الباري بشرح البخاري، للحافظ العسقلاني (٦/ ٣٠٧- ٣١٤).

ولقد آثرنا أن نذكر هذا الحديث بطوله؛ لأنه يشتمل على مسائلَ لا يعترف بها اليهود وتخلو عنها، أو عن أكثرها التوراة التي كتبها اليهود.

كما أن الحديث فوق اشتماله على قصة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو على أكثرها يشتمل على تفصيل هجرة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكة وأسبابها، ويوضح أسباب العمران الذي نشأ حول البيت ببركة البيت ونبي الله إسماعيل، ويبين الحديث الشريف كذلك واقعة بناء الكعبة، وهي واقعة يهتم بها الباحث.

غير أن الحديث سكت عن أمر هام فلم يتعرض له بإثبات أو نفي، ذلكم هو حادث الذبح، وسكوتُ الحديث عن هذا الحادث لا ينفيه ولا يثبته، فليس من الضروري أن يذكر الحديث كل شيء، أو يسكت عن كل شيء، وسوف يأتي مزيد تفصيل لذلك في موضعه من التعقيب على المصادر الإسلامية واليهودية بمشيئة الله تعالى.

وهذا الذي تناوله الحديث من أمر هجرة إبراهيم إلى مكة ومعه إسماعيل عليهما السلام وأمه إلى آخر هذه الحادثة ذكرها القرآن الكريم فأوفاها حقَّها، فالكتاب العزيز يخبرنا أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن هاجر عن قومه طلب من ربه أن يرزقه ذرية صالحة، فوهب الله له إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقول- تبارك وتعالى-:

﴿فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٩٨- ١٠١].

ومنذ حملت هاجر وسارة تأكلها الغيرة، وطلبت سارة من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يطرد الجارية بابنها، وقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يحمل هاجر وابنها إلى مكة، ولكن هذا لم يكن استجابةً لأمر سارة، وإنما كان أمرًا من الله تبارك وتعالى لحكمةٍ يعلمها مِن عمارة المكان وإقامة البيت، ولعل لله حكمًا أخرى لا نعلمها.

ويذهب إبراهيم بابنه وأمه إلى مكة وهي يومئذٍ قفرٌ موحشةٌ لِيُسكنها بجوار البيت، ثم يرفع يديه إلى ربه قائلًا:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ويبلغ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ السعي، فيأمر الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبحه، فيهاجر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكة، وهناك يُطلِع ابنَه على الأمر، ويجيبه الابن إجابة نبي وابن نبي، يقول تبارك وتعالى- على لسان إبراهيم-:

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠٧].

وواضح من الآيات أن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس إسحاق كما يدعي اليهود والنصارى، فالآيات تذكر أن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من ربه أن يهبه ذرية فوهب له الغلام الحليم، ثم ذكرت الآيات أن الغلام حدثت له حادثة الذبح، ثم بعد ذلك كله، وبعد أن أنهت الآيات قصة الذبح والفداء عقَّب الله عليها بقوله تعالى:

﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢].

فالبشارة بإسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءت بعد حادثة الذبح، كما هو واضح من الآيات ومن

ترتيبها للأحداث، وهذه من الأمور التي لا تقبل الجدل لوضوحها وبيانها، وسنناقشها ونوفيها حقها بمشيئة الله تعالى عند الكلام على المصادر الإسلامية واليهودية.

ومن مطابقة الحديث الذي ذكرناه عن هجرات إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مكة على الآيات التي وردت حول ذلك الموضوع، نستطيع أن نرتب هذه الهجرات التي زار فيها الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ مكة المكرمة على الصورة الآتية:

الزيارة الأولى: وفيها أمر الله الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يأخذ أم إسماعيل وابنها ويذهب بهما إلى مكة، ويضعهما بجوار البيت الذي لم يكن في ذلك الوقت سوى رَبوة ناهدة على ما حولها.

الزيارة الثانية: وفيها أمر الله الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبح ابنه، فسافر إلى مكة حيث ابنه، فألقى إليه الموضوع على ما بيَّنا سابقًا.

الزيارة الثالثة: وفيها ذهب الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لزيارة ابنه، ووجد زوجته الأولى، وكان بينه وبينها ما كان؛ مما دفعه أن يوصي ابنه بتطليقها.

الزيارة الرابعة: وفيها أعاد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ زيارته لابنه، ووجد زوجته الثانية، ورضي عنها، وأمر ابنه بإمساكها.

الزيارة الخامسة: وفيها أمر الله خليله أن يبني بيته المحرم بمساعدة ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان ما كان من مقابلة إسماعيل لوالده، وقيامه مع والده ببناء البيت.

ويجب هنا أن نلاحظ أننا نرتب الزياراتِ التي ثبتت بالكتاب والسنة، وهذا لا يعني أن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تكن له زيارات بعد ذلك لمكة، أو لبيت الله الحرام، بل إنه من المرجح عندنا أن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد زار بعد ذلك مكة مرة، أو مرات بعدد ما بقي له من سنوات عمره، وبقدر ما أمكنته ظروفه من تحقيق تلك

الزيارات في موسم الحج؛ ليعلم الناس شعائر الحج ومناسكه؛ إذ لا يعقل أن يؤذن في الناس بالحج، ثم لا يستجيب هو لأدائه، وتعليم الناس فرائضه ومناسكه.

وعندما بلغ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ حوالي الثالثة عشرة من عمره- على ما هو رأي أكثر المحققين- جاءت البشرى بإسحاق أخيه من أبيه- عليهم السلام- ولهذا قصة يذكرها القرآن العظيم.

فلقد أرسل الله تعالى ملائكته لإهلاك قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لارتكابهم الموبقات، وإفسادهم وشذوذهم، وفي طريق الملائكة إلى قرى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ عرجوا على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فناداهم بالضيافة، وأحضر لهم الطعام، ولكنهم لم يطعموا، فأوجس منهم خيفة، قالوا له: لا تخف، إنا ملائكة ربك أرسلنا لإهلاك قوم لوط، وجادلهم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في لوط وآل بيته، فأخبروه أنهم ناجون جميعًا إلا إمرأة لوط، ثم بشروا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن الله سيرزقه إسحاق نبيًّا، ولما عجبت امراة إبراهيم سارة؛ لكونها كبيرةً السن، وكونها عاقرًا- أيضًا- قالوا لها: لا تعجبي؛ إنه أمر الله، يقول- تبارك وتعالى-:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٦٩-٧٣].

ويُرزق إبراهيم بإسحاقَ- عليهما السلام- نبيًّا، ويظل إسحاق بالشام موطن أبيه، ويظل إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بمكة، ويتزوج إسحاق وينجب ولدين يعقوب

و«العيص» وهو الذي تسميه التوراة اليهودية: «عيسو» ويتزوج يعقوب وينجب اثني عشر ابنًا منهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخوه الصغير، وكان أولاد يعقوب من أمهات شتى، وكان يوسف وأخوه الصغير من أم واحدة.

وقصة يوسف- عليه الصلاة والسلام- أوفاها القرآن العظيم حقَّها في سورة سميت باسمه، ويوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ له وزن كبير في تاريخ بني إسرائيل كله.

وتبدأ قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بغلام حدث بين إخوة كثيرين، ويرى الغلام رؤيا يقصها على والده النبي، ويتوسم النبي يعقوب في رؤيا ابنه بشارة بالنبوة وعظم الشأن، فيطلب من ابنه ألا يخبر بها إخوته حتى لا يكيدوا له، يقول الله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٤- ٥].

ويتعلق قلب يعقوب بيوسف عليهما السلام ويحوطه برعايته وعنايته، ويأكل الحقد قلب إخوته، ويتهامسون فيهما بينهم:

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٨].

ويضعون خطة الخلاص من يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف: ٩- ١٠].

ويُقدِمون على تنفيذ خطتهم فَيُلقون بيوسف في أحد الآبار، وتلتقطه سيارة من التجار الذين كانوا في طريقهم إلى مصر، ويباع يوسف إلى رئيس الشرطة عند

فرعون، ويبلغ يوسف رشده فَيُفيض الله عليه العلم والحكمة والتقى والعفة.

ويُمتحن يوسف في دينه وعفته فتراوده التي هو في بيتها عن نفسه، ولكنه يأبى ذلك الإباءَ كلَّه، وتُمزق قميصه وهو يهرب منها، وتعلن لزوجها أن يوسف خائن لسيده، وأنه كان يراودها عن نفسها، ويحتكمان إلى القميصِ وجهةِ قَدِّهِ، ويظهر صدق يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكن رئيس الشرطة، أو سيده يرى من الحكمة أن يسجنه.

وفي السجن يلتقي بسجينين لفرعون، ويرى السجينان كل منهما رؤيا، ويقص كل منهما رؤياه على يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويعبر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكل منهما رؤياه، وكان أحدهما- حسب تأويله- ناجيًا لخدمة فرعون، وطلب يوسف منه أن يذكره لفرعون لِيُخرجه من سجنه.

وينسى العبدُ حتى يرى فرعون رؤيا: رأى سبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان، وسبع سنبلات يابسات يأكلن سبع سنبلات خُضر، ويسأل عن تأويل الرؤيا فيخبره خادمه بيوسف، ويأتي يوسف ويخبر فرعون بتأويل الرؤيا، ويضعه فرعون على خزائن الدولة وهو منصب كمنصب وزير التموين الحالي، أو لعله أهم من ذلك.

وتحدث سنوات الجدب والمجاعة، ويهاجر مَن في الأماكن المجاورة لمصر إلى مصر طلبًا للرزق وشراء الطعام، ويأتي أبناء يعقوب إخوة يوسف إلى مصر ويَعرفهم يوسف، وهم له منكرون، ويطلب منهم أن يحضروا أخًا صغيرًا لهم من أبيهم، وإلا فلا كيل لهم عنده، ويرجعون إلى أبيهم بطلب الأمير، ولكنَّ أباهم يرد عليهم:

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

ولكنَّ أباهم تحت ضغط الحاجة يقبل أن يرسل أخاهم معهم شريطةَ أن يعطوه موثقًا من الله:

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦].

ولما دخلوا على يوسف عرف أخاه، وآوى إليه أخاه، ثم يحتال عَلَيْهِ السَّلَامُ حيلة يستبقي بها أخاه عنده بأن وضع السقاية في رحل أخيه، ثم يبحث عنه بعد أن يشترط إخوته أن من يوجد في رحله متاع الملك يؤخذ عبدًا عنده.

ويحاول إخوته أن يستبدلوه بواحد منهم، ولكن يوسف يأبى ذلك، ويعودون إلى أبيهم ما عدا ذلك الذي أعطى أباه الموثق، ويحزن الأب على ابنه حزنًا مضاعفًا، ويَكِلُ أمره إلى الله،

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤].

وعندما يلومه أولاده على حزنه على يوسف يلجأ إلى الله:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٨٦].

ويذهب إخوة يوسف في رحلة ثالثة طلبًا للطعام وبحثًا عن يوسف كما أمرهم أبوهم، ويدخلون على يوسف:

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ

وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨- ٩٠].

ثم يغفر يوسف لإخوته ويعفو عنهم ويعطيهم قميصه قائلًا:

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٣-١٠٠].

وهكذا انتقل بنو إسرائيل من أرض الشام إلى مصر، انتقلوا إليها بدعوة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبقيادة أبيه نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أما تاريخهم في مصر فسوف يكون لنا به لقاء في موضعٍ آخرَ من الكتاب- إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

الرواية اليهودية

أفاضت التوراة اليهودية في ذكر قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسجلت كثيرًا من أحداثها التي تختلف مع ما ورد في الكتاب العزيز.

تذكر التوراة أن والد أبرام- إبراهيم- [1] واسمه تارح أخذ ابنه أبرام- إبراهيم- وزوجة ابنه سارای- سارة- وحفيده لوطًا، ونزحوا من ديارهم متجهين إلى أرض كنعان، وفي طريقهم إلى مهجرهم يعرجون على بلد تسمى «حاران»، مكانها الآن بين حابور ونهر الفرات بشمال العراق، ويقيمون بها بعض الوقت وهناك تعاجل المنية تارح والد أبرام.

يقول سفر التكوين:

«وأخذ تارح أبرام ابنه، ولوطَ بنَ هاران ابن ابنه وسارای كنته امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معًا مِن أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى حاران

---

(١) أبرام: هو اسم إبراهيم في توراة اليهود، وهي قراءة جماعة من القراء منهم ورش، لكنهم يقصرون هذه القراءة على سورة البقرة، وما عدا ذلك يقرؤون «إبراهيم» في القرآن كله عدا البقرة، أما قراءة حفص بن عاصم فهي «إبراهيم» في القرآن كله.

فأقاموا هناك.... ومات تارح في حاران» [١].

وبعد موت والد أرام ظهر له الرب، فأمره بالهجرة إلى أرض كنعان؛ لكي يعطيه هناك أرضًا ويكثر نسله.

«وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأخذ أبرام سارای امرأته ولوطًا ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان» [٢].

وتحدث مجاعة في الأرض التي هاجر إليها أبرام، فينزح إلى مصر هو ومن معه، ويتفق مع سارای على أن تذكر أنها أخته حتى ينال خيرًا بسببها.

تقول التوراة اليهودية:

«وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك؛ لأن الجوع في الأرض كان شديدًا، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسارای امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي: إنك أختي؛ ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك» [٣].

ولما دخل أبرام إلى مصر حدث ما توقعه، فأخذ فرعون سارة، ولكن الله أنجاها، وأفاء على أبرام بسببها خيرًا كثيرًا.

---

(١) (١١: ٣١- ٣٢).

(٢) تكوين (١٢: ٥).

(٣) تكوين: (١٢: ١٠- ١٤).

تقول توراه اليهود:

«فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدًّا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فَأُخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيرًا بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارای امرأة أبرام، فدعا فرعون أبرام، وقال: ما هذا الذي صنعتَ بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت: هي أختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب، فأوصى عليه فرعون رجالًا فَشَيَّعُوهُ وامرأته وكل ما كان له» (١).

وخرج أبرام من مصر إلى أرض كنعان، إلى المكان الذي كان فيه أولًا، وتشاجر رعاته مع رعاة ابن أخيه لوط، فتقاسم الأرض مع ابن أخيه.

واختار لوط قرى سكن فيها بعيدًا عن عمه، ويعتقد اليهود أن لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أخطأ في حق عمه بأن اختار هو أولًا، ولم يترك الخيار لعمه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولذلك عاقبه ربه بأن جعل القرى التي سكن فيها قرًى فاسدةً خاطئةً، وبعد أن اعتزل لوط عمه يأتي الرب إلى أبرام؛ ليقطع معه عهدًا أبديًّا بأن يورثه الأرض ويكثر نسله.

تقول توراة اليهود:

«ثم أخرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعدها، وقال له: هكذا يكون نسلك، فآمن بالرب فحسبه له بِرًّا، وقال له: أنا

---

(١) تكوين: (١٢: ١٤- ٢٠).

الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين؛ ليعطيك هذه الأرض لترثها»[١].

ويبدو أن الرب لدى الإسرائيليين عرضة للكذبِ والغدرِ وخُلفِ الوعد؛ مما يجعل تكذيبه هو القاعدة وتصديقه خلاف القاعدة؛ ولذلك عندما يصدقه أبرام في وعده إياه، يعتبر الرب هذا عملًا جليلًا من أبرام يستحق عليه الأجر والبر.

ففي النص السابق يَعِدُ الرب أبرام بتكثير النسل، وعندما يؤمن أبرام بكلام الرب يعتبر الرب هذا عملًا عظيمًا من أبرام: «وقال له الرب: هكذا مثل نجوم السماء يكون نسلك فآمن بالرب فحسبه له بِرًّا».

ولأن اليهود يعتقدون على ربهم جواز الكذب، وخلف الوعد، ونقض العهد، كان لإبراهيم أن يطلب من ربه- بعد أن وعده الوعد الذي تقدَّم- دليلًا على صدق وعده، وعلامة يتأكد بها أن الرب جادٌّ في وعده الذي وعده به ولن يخلفه أو ينكثه؛ لذلك طلب أبرام من ربه ميثاقًا يتمسك به كل منهما، كما يطلب الإنسان من إنسان مثله ميثاقًا يقطعه على شيء اتفقا عليه حتى لا يخلف وعده، كذلك فعل أبرام في زعم اليهود، وكذلك حصل من الرب؛ أن قطع العهد وتواثق مع أبرام عليه.

تقول التوراة اليهودية:

«قال له: أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين؛ ليعطيك هذه الأرض لترثها فقال: أيها السيد الرب، بماذا أعلم أني أرثها؟ فقال له: خذ لي عِجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشًا ثلاثيًّا، ويمامةً، فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط، وجعل

---

(١) تكوين (١٥: ٥- ٧).

شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه، فنزلت الجوارح على الجثث، وكان أبرام يزجرها، ولما صارت الشمس إلى المغيب، وقع على أبرام سبات، وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه، فقال لأبرام: اعلم يقينًا أن نَسْلَكَ سيكون غريبًا في أرضٍ ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا.

ثم غابت الشمس فصارت العَتْمَة، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع، في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات»[1].

وهذا الميثاق هو الوعد الذي يتمسك به اليهود ويرددونه في كل مناسبة، ويرسمون خريطة دولتهم المأمولة، كما رسمتها كلمات هذا الوعد، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

ويعلق الأستاذ العقاد على هذا الميثاق الذي قطعه الله مع أبرام، وعلى الطريقة التي اتُّبعت في قطعه بقوله:

«ومن العادات المرعية في كثير من أمم الرعاة: أن يمر المتعاهدون بين شقين من ذبيحة، ويَرُدُّ بعضُهم قولهم: (قطع عهدًا) إلى هذه العادة»[2].

وتأتي بعد ذلك قصة مولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فتحكي التوراة أن سارای لما

---

(١) تكوين (١٥: ٧- ١٨).

(٢) أبو الأنبياء، هامش صحيفة (١٩).

رأت أنها لم تنجب قالت لزوجها: ادخل على هاجر جاريتي؛ لعل الله يرزقني منها بنين وتلد على حجري، ويدخل أبرام بهاجر وتحمل، ولكن سيدتها تذيقها ألوان الاضطهاد وتهرب هاجر من سيدتها سارای.

ولكن ملاك الرب يظهر لها قائلًا:

«يا هاجر جارية سارای، من أين أتيت؟ وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي سارای، فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها، وقال لها ملاك الرب: تكثيرًا أُكَثِّرُ نسلك فلا يُعَدُّ مِن الكثرة، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى، فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانًا وحشيًّا، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن»[1].

وفي هذا النص يعد الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكثرة، ولكن يبدو أن كاتب التوراة أراد أن يضع أوصافًا أخرى لإسماعيل وعقبه تنقص من شأنهم، وتنحط بهم عن نسل إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ فأضاف من عنده أوصاف التوحش والعداء للأمم.

وتلد هاجر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وعُمْرُ أبرام ست وثمانون سنة، وعندما بلغ سن أبرام تسعًا وتسعين سنة حدثت أمور هامة.

فقد ظهر له الرب وغيَّر اسمه من أبرام إلى إبراهيم، ثم فرض عليه فريضة الختان، ثم غيَّر اسم زوجه من سارای إلى سارة، ثم بشَّره بولده إسحاق من سارة، ثم ظهر له الرب عند بلوطات ممرا في حادثة شبيهة في بعض تفاصيلها بحادثة

---

(١) تكوين (١٦: ٨- ١٣).

ملائكة الله الذين أرسلهم الله- تعالى- لإهلاك قوم لوط، وتبشير إبراهيم بإسحاق.

تقول توراة اليهود:

«وظهر له الرب عند بَلُّوطات مَمْرَا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فآخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون؛ لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا: هكذا نفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة، وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقًا سميذًا اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلًا رخصًا وجيدًا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبدًا ولبنًا، والعجل الذي عمله، ووضعها قُدَّامهم، وإذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا»[1].

وفي هذه الحادثة وبعد أن أكل الرب وملائكته وشبعوا، بَشَّرُوا سارة بإسحاق، وذهب ملائكته إلى قرى لوط فأهلكوها بعد أن نجا لوط وبناته منها.

ويسكن لوط ومعه بنتاه فوق جبل في مغارة، وتحدث الحادثة التي يخزى القلم أن يخطَّها، ويحيل العقل قبولها بالنسبة لأقل الأشخاص شأنًا، وليس بالنسبة لنبي من الأنبياء.

وتصور التوراة التي كتبها اليهود هذا فتقول: «وصعد لوط من صوغر

---

(١) تكوين (١٨: ١- ٨).

وسكن في الجبل، وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلمَّ نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلًا، فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها، ولا بقيامها»[1].

ومثل ذلك حدث للصغيرة، وحملت البنتان من أبيهما، وأنجبت كل منهما ابنًا، وسمت البكر ابنها: موآب، فهو أبو الموآبيين إلى اليوم، ودعت الصغرى ابنها: بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم.

هذا التصور القذر يصور لنا كيف رسم اليهود طريق الفاحشة لخلفائهم، وزرعوها في دمائهم، وحرَّفوا كتاب الله افتراءً عليه وعلى أنبيائه، أَوَليس هذا النص دليلًا على تحريفهم التوراة الحقة؟

وتحمل سارة وتضع إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ ويختنه أبوه في اليوم الثامن لولادته، ويكبر إسحاق ويبلغ الفطام، وفي ذلك الحين رأت سارة إسماعيل يمزح مع ابنها إسحاق، فطلبت من إبراهيم أن يطرده وأمه؛ لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنها، ويتألم إبراهيم من أجل ابنه إسماعيل، ولكن ملاك الرب يظهر له ويأمره بسماع كلام سارة، وأن يطرد الجارية وابنها؛ لأن ابن سارة هو الذي سيحمل اسمه ويكثر نسله، ويسمع إبراهيم الكلام وينفذه.

ويضع على كتف هاجر قربة ماء وبعض الخبز ويطردها ومعها ابنها، فتذهب

---

(١) تكوين (١٩: ٣٠- ٣٣).

لتتوه في برية بئر سبع، وعندما ينفد منها الماء والطعام تضع الغلام تحت شجرة وتبتعد عنه حتى لا تراه وهو يموت، ولكن ملاك الرب يظهر لها ويخبرها بأن ابنها سيكون أبًا لأمم كثيرة، ويدلها على بئر فيه ماء ويكبر الطفل رامي قوس ويسكن في برية فاران.

وبعد ذلك تأتي قصة الفداء بإسحاق، كما تزعم التوراة اليهودية.

تقول التوراة:

«وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، فقال: ها أنا ذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه، إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك»[1].

وتحكي التوراة بعد ذلك أن إبراهيم أخذ ابنه والحطب والسكين وأراد أن يذبحه في المكان الذي عينه له الله، ولكن ملاك الرب ناداه وفداه بكبش فذبحه إبراهيم عوضًا عن ابنه، وبعد ذلك تذكر التوراة أن سارة ماتت وعمرها سبع وعشرون ومائة سنة.

وتنتقل التوراة إلى ذكر زواج إسحاق، فتذكر أن إبراهيم أوصى عبده كبير بيته ألَّا يزوج ابنه من كنعان، بل من أهله وعشيرته، ويزوج العبد إسحاق امرأة من بنات عمومته هي رفقة بنت بتوئيل بن ناحور أخي إبراهيم.

وتحمل رفقة وتضع ولدين: الأول البكر عيسو- العيص- والثاني يعقوب، ويميل قلب الأم إلى يعقوب وينصرف عن عيسو، والأب على عكس ذلك، يميل

---

(١) تكوين (٢٢: ١- ٣).

إلى عيسو ويكره يعقوب، والتوراة اليهودية ترسم أخلاق يعقوب وكأنه أحد اليهود المعاصرين.

ولا شك أن الذي كتب التوراة اليهودية خلع على يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ- باعتباره الجد الأكبر لليهود- الأخلاق اليهودية التي أراد أن يتمسك بها اليهود ويسيروا عليها، فيعقوب كما تصوره التوراة اليهودية يمتاز بالأنانية والحقد والمكر والكذب والاحتيال.

من ذلك: أن يعقوب احتال حتى اشترى من أخيه «بكوريته» والبكورية عند اليهود لها منزلة عظيمة عند الله والناس.

وعندما يشيخ إسحاق ويريد أن يبارك ابنه عيسو، يدخل عليه يعقوب في هيئة عيسو، ويقول له: أنا ابنك عيسو، ويحتال حتى ينال البركة التي كان قد أعدها إسحاق لابنه عيسو.

ويطلب إسحاق من ابنه يعقوب أن يتزوج من بنات خاله لابان، وألا يتزوج من بنات الكنعانيين، وهنا تتشابه القصة مع قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع شيخ مدين الذي ورد في بعض الروايات أنه نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ فيعقوب يذهب إلى خاله لابان، فيأتي على بئر يسد فاها حجر ثقيل، ويجد ابنة خاله لابان مقبلة لتسقي غنمها، ولا تستطيع ذلك؛ لأن الحجر ثقيل، ولكن يعقوب يرفعه بمفرده، ثم يذهب إلى خاله الذي يقبل تزويجه ابنته «راحيل» على أن يخدم عنده سبع سنين.

وبعد أن تمضي المدة يدخل عليه خاله ابنته ليئة وهي أخت راحيل، وعندما يغضب يعقوب؛ لأن خاله خالف الاتفاق فزوجه ليئة، ولم يزوجه راحيل، يزوجه خاله ابنته التي عشقها مقابل خدمته سبع سنوات أخر، ويصبح ليعقوب امرأتان،

ويدخل بهما يعقوب فينجب منهما ومن جاريتهما، اثني عشر ابنًا منهم ابنان، من راحيل هما يوسف وبنيامين.

وبعد ذلك تذكر التوراة سبب تسمية يعقوب بإسرائيل، فتقول بأن يعقوب كان وحده ذات ليلة، فنزل الرب وصارع يعقوب، ويعجز الرب في التغلب على يعقوب، وهنا يقول الرب ليعقوب: ما اسمك؟ ويقول له: يعقوب، فيقول: لا يُدعَى اسمك منذ اليوم يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

وتأتي التوراة اليهودية بعد ذلك على خاتمة الرواية كلها، فتنتقل إلى قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فتذكر أنه كان ينقل إلى أبيه أخبار إخوته، ونميمتهم الرديئة، وأن أباه كان يحبه ويفضله عليهم، وزاد في كراهية إخوته إياه أنه رأى حلمًا حكاه لإخوته، وكان يوسف قد رأى أنه قد جمع حزمة من حطب وكل إخوته كذلك، وأن حزمته انتصبت واقفة وكل حِزَمِ إخوته سجدت لها، ورأى يوسف حلمًا آخرَ؛ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، وعندما سمع إخوته أحلامه كرهوه، وأما أبوه فحفظ الأمر في نفسه، وتآمر عليه إخوته وألقوه في بئر ليس بها ماء، وانتشلته سيارة من المسافرين، وباعوه لرئيس الشرطة لدى فرعون، واسمه «فوطيفار» وراودته امرأة رئيس الشرطة وادعت عليه أنه راودها وسجنه سيده.

وفي السجن التقى بسجينين، رأى أحدهما في الحلم كَرْمَةً فيها ثلاثة فروع وفيها عناقيد، وأنه أخذ منها وعصر وسقى فرعون، ورأى الثاني أنه يحمل على رأسه ثلاث سلال، وأن السلة العليا فيها خبز تأكل الطير منه، وقال يوسف للأول: إن الثلاثة فروع في الكرمة ثلاثة أيام، وبعدها تخرج لتسقي فرعون كما كنت.

وقال للثاني: إن الثلاث سلال ثلاثة أيام، وبعدها تُصْلَبُ فتأكل الطير من رأسك.

وطلب يوسف من الذي ظَنَّ أنه ناجٍ أن يذكره عند فرعون؛ ليخرجه من سجنه، ولكن الرجل ينسى، حتى يرى فرعون رؤيا فيبحث عمن يُئَوِّلُها، ويذكر الساقي يوسف عند فرعون فيطلبه، وكان فرعون رأى في الرؤيا أنه على شاطئ نهر فخرجت من النهر سبع بقرات سمان، وبعدها خرجت سبع بقرات عجاف أكلت السمان، ثم رأى فرعون رؤيا أخرى: سبع سنبلات خضر وأخر يابسات، ويحضر يوسف، ويقول: إن الرؤيا تنبئ عن سبع سنين تنتج الأرض خيرًا كثيرًا، وتعقبها سبع أخريات يقع فيها القحط والمجاعات، وطلب يوسف من فرعون أن يقيم رجلًا بصيرًا يُصَرِّف الأمور، ويدخر الأرزاق، من سنوات الشبع لسنوات القحط، ويختار فرعون يوسف لهذه المهمة.

وأصبح يوسف الرجل الثاني في الدولة بعد فرعون، وكانت سِنُّهُ حينئذٍ ثلاثين عامًا، وزوَّجه فرعون من ابنة الكاهن «فوتي فار».

وتحدث مجاعة في الأرض فتسافر القوافل من البقاع المجاورة- ومنها: فلسطين- إلى مصر؛ طلبًا للقوت، وضمن هذه القوافل إخوة يوسف، ويعرفهم يوسف، ويطلب منهم أن يُحضِروا أخاهم الصغير وإلا فلا كيل لهم عنده، ويسلمه أبوه إليهم بعد ممانعة، وبعد أن يأخذ عليهم موثقًا أن يَرْجِعُوه إليه ويضع يوسف الطاس الخاصة به في رحل أخيه، ثم يأخذه عبدًا عنده مقابل ذلك، ويعرض عليه إخوته أن يأخذ أحدهم بدلًا منه، ولكن يوسف يأبى ذلك، وعندما يصف له إخوته ماذا سيحدث لأبيهم لو رجعوا إليه بدون أخيهم، يبكي يوسف، ثم يكشف لإخوته الحقيقة ويعرفهم بنفسه، ثم يطلب يوسف من إخوته أن يذهبوا

فيأتوه بأبيه، ويقول لهم:

«أسرعوا واصعدوا إلى أبي، وقولوا له: هكذا يقول ابنك يوسف: قد جعلني الله سيدًا لكل مصر، انزل إليَّ لا تقف، فتسكن في أرض جاسان وتكون قريبًا مني، أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك» [١].

ويذكر المؤرخون أن ذلك كان في عهد الهكسوس الذين أغارو على مصر، وأقاموا حكمهم فيها من الأسرة الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة، وهؤلاء الهكسوس يلتقون مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبنائه في الجنس؛ إذ هم ساميون قدموا من شمال الجزيرة العربية وأغاروا على مصر، واستولوا على حكمها قسرًا وقهرًا عن أهلها، ومن هنا كان ترحيب فرعون بإخوة يوسف وسروره بهم، وذلك بالإضافة إلى مكانة يوسف في الدولة، وتذكر التوراة أن فرعون عندما علم بإخوة يوسف طلب من يوسف أن يحضرهم وكلَّ أهله وقومه.

تقول توراة اليهود:

«فحسن في عيني فرعون وفي عيون عبيده، فقال فرعون ليوسف: قل لإخوتك: افعلوا هذا احملوا دوابكم وانطلقوا، اذهبوا إلى أرض كنعان، وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إليَّ، فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض» [٢].

وعندما ذهب إخوة يوسف أخبروا أباهم قائلين:

«يوسف حيٌّ بَعْدُ، وهو متسلط على كل أرض مصر، فجمد قلبه؛ لأنه لم

---

(١) تكوين (٤٥: ٩- ١٠).

(٢) تكوين (٤٥: ١٧- ١٨).

يصدقهم، ثم كلموه بكل كلام يوسف الذي كلمهم به، وأبصر العَجَلَاتِ التي أرسلها يوسف لتحمله، فعاشت روح يعقوب أبيهم، فقال إسرائيل: كفى، يوسف ابني حَيٌّ بَعْدُ، أذهب وأراه قبل أن أموت» [١].

وبعد ذلك حمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العَجَلَاتِ التي أرسل فرعون لحملهم، وأخذوا مواشِيَهم ومقتنياتِهم التي اقتنوا في أرض كنعان وجاءوا إلى مصر [٢].

وتحصي توراة اليهود عدد الإسرائيليين حينما نزحوا إلى مصر، وتقدرهم بسبعين نفسًا.

«جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر، الخارجة من صلبه، ما عدا نساء بني يعقوب، جميع النفوس ست وستون نفسًا، وابنا يوسف اللذان وُلِدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون» [٣].

(١) تكوين (٤٥: ٢٦- ٢٧).
(٢) تكوين (٤٦- ٦٥).
(٣) تكوين (٤٦: ٢٦- ٢٧).

المبحث الرابع

بنو إسرائيل

بنو إسرائيل في مصر

دخل الإسرائيليون مصر- كما ذكرنا من قبل- بقيادة نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وبدعوة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبترحيب عظيم من فرعون الذي كان يعرف الفضل ليوسف في حكمته وتدبيره وإنقاذه مصر والبلاد المجاورة من المجاعة التي حلت بها.

وإكرامًا ليوسف أكرم فرعون قومه، وبعزة يوسف عَزَّ هؤلاء القوم، ونزلوا بمكانة خاصة لا يشاركهم فيها غيرُهم من شعب مصر.

ولم تكن المكانة التي نالها هؤلاء القوم من أجل يوسف فقط، بل كان هناك عامل هام في نَيْلِهم هذه المكانة، ذلك هو اتحادهم في الجنس مع حكام مصر في ذلك الوقت، فمصر آنذاك كان يحكمها «الهكسوس» وهم أقوام ساميون أغاروا على مصر وانتزعوا الحكم فيها من أبنائها.

ولذلك نظر المصريون إلى الإسرائيليين القادمين إليهم على أنهم أقرباء للحكام الغاصبين، وكذلك نظروا إليهم على أنهم درع لهم وسند ضد الشعب المصري الذي كان يكره هؤلاء الحكام، ولا يفتأ يثور عليهم بين الحين والآخر.

ومن حين وطئت أقدام بني إسرائيل أرض مصر كان واضحًا أنهم لا يريدون أن يعيشوا مع شعبها في سلام، أو وئام، فلقد ضربوا حول أنفسهم سياجًا من العزلة والانكماش، لا يختلطون بالشعب، ولا يسمحون للشعب بالاختلاط بهم، وهذه العزلة التي ضربها الإسرائيليون حولهم سوف يكون لها أثر كبير وخطير على مجريات حياتهم عبر التاريخ كله.

وقد دفع بني إسرائيل إلى انتهاج العزلة مع الشعب في مصر عواملُ كثيرةٌ، أهمها:

١- الرابطة التي كانت تربطهم بالحكام، ومنزلتهم الخاصة عندهم.

٢- الدين؛ فلقد كان بنو إسرائيل يعبدون الله الواحد، والمصريون يعبدون الأشخاص والحيوان؛ لذا كان بنو إسرائيل يحتقرون المصريين، وينظرون إليهم على أنهم نجسٌ عُبَّادُ أوثان يجب الابتعاد عنهم.

٣- عقيدة الشعب المختار، فلقد كان بنو إسرائيل يعتقدون أنهم شعب الله المختار؛ ولذلك كان احتقار الأمم طبيعة فيهم، والعزلة عن الأمم متأصلة فيهم، قبل أن يدخلوا مصر؛ لذلك لم يكن غريبًا أن اتَّسموا بذلك حين دخلوا مصر.

موقف الشعب المصري من الإسرائيليين:

أما موقف الشعب المصري من بني إسرائيل فقد تأثر بعاملين هامين:

الأول: العزلة التي ضربها بنو إسرائيل حول أنفسهم واحتقارهم الشعب وتعاليهم عليه.

الثاني: صلة بني إسرائيل بالحكام الأجانب في مصر، فالمصريون كانوا يكرهون الحكام الهكسوس، ولما وجدوا الصلة التي تربط القادمين الجدد بالحاكم المستعمر، وضعوهم مع الحكام في كفة واحدة، واعتقدوا أنهم إنما جاءوا ليعينوا الحاكم ضد الشعب، وبخاصة أن بني إسرائيل ربما أسهموا مع الحكام في إخماد ثورات الشعب

ضدهم، وربما مثلوا دور الجاسوسية للحكام ضد الشعب كما هي طبيعتهم دائمًا.

هذان العاملان دفعا بالمصريين إلى كراهية بني إسرائيل كراهية شديدة، وظلت هذه الكراهية تتفاقم مع الأيام ويشتعل أوراها في قلوب المصريين، ومع مرور الأيام أثرى اليهود ثراء فاحشًا فامتلكوا الأراضي الزراعية، واستغلوا أفراد الشعب في زراعتها وعكفوا هم على التجارة في الذهب والرعي وجمع الأموال كما هي عادتهم.

وما زال الحال على ذلك حتى هب المصريون فطردوا الهكسوس وتخلصوا منهم نهائيًا، وبعد تخلص المصريين من الهكسوس جرَّدوا الإسرائيليين من الامتيازات التي كانت لهم.

وبدأ بنو إسرائيل في التمرد على السلطان المصري والثورة ضده وذلك أمر طبعي، فإن بني إسرائيل نالوا من رعاية الهكسوس، وتعودوا على الحياة الممتازة، ثم جاء من الفراعنة من طلب منهم أن يحرثوا الأرض كغيرهم من المصريين المنتجين، وألَّا يختصوا بصياغة الذهب والفضة وتجارتها، وتنمية المواشي بواسطة الرعي دون جهد، وأصبح المصريون ينظرون إليهم نظرة شك وريبة، وكانوا يخشون أن يتصل بنو إسرائيل بأعداء مصر المتاخمين لها ويتآمروا معهم للوثوب على مصر، وزاد من مخاوف المصريين أن بني إسرائيل كانوا يتكاثرون بشكل سريع ومخيف، فالتوراة اليهودية تذكر أن عدد بني إسرائيل حين دخلوا مصر كان سبعين نفسًا [1]، ثم تذكر التوراة أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أحصاهم عند خروجهم من مصر فوجد جملة السلاح منهم (٦٠٣٥٥٠) مقاتلًا [2].

---

(١) سفر التكوين (٤٦: ٢٧).

(٢) سفر العدد، (إصحاح ١: ٤٥-٤٧).

وهذا يعني: أنهم كانوا يزيدون على المليونين تقريبًا، وأصبحت العلاقة بين المصريين وبني إسرائيل تقوم على أساس من خوف المصريين وكراهيتهم بني إسرائيل، وتآمر هؤلاء وثوراتهم ضد المصريين وبسبب هذه الثورات اضطهدهم الحكام والشعب.

ومع مرور الزمن أصبح اضطهاد الحكام للإسرائيليين سنة متبعة وأصبحت تزداد يومًا بعد يوم، وانتقل الاضطهاد من المال إلى النفس، كل هذا وبنو إسرائيل يلجأون إلى الثورة من حين إلى حين، وقد اكتشف شعب مصر أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه، وتدل بعض الآثار التي خلفها «منفتاح» أحد حكام مصر على أن الإسرائيليين ثاروا عليه ثورة ضارية، وأنه جرد عليهم الحملات حتى أخضعهم وأبادهم كما تحكي الأنشودة التي سجلها على عمارة له في طيبة، وفيها يقول:

«لقد غلب الملوك وقالوا: سلامًا... وخربت إسرائيل ولم يعد لأبنائها وجود، وأصبحت فلسطين أرملة لمصر... وكل من كان ثائرًا قيده الملك منفتاح» [(١)].

وبسبب هذه الثورات، وبسبب الكثرة المطردة في عدد بني إسرائيل في مصر، أراد الحكام أن يضعوا حدًّا لهذه الزيادة، وتفتق ذهن أحد حكام مصر عن خطة؛ تلك الخطة هي: أن يقتل أبناء بني إسرائيل، وأن يستحيي نساءهم، يقول تبارك وتعالى- واصفًا تلك الخطة-:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

ولعل حادثة قتل فرعون أبناء بني إسرائيل جاءت عقب ثورة منهم ضد الحكام؛ لأن عملية القتل الجماعي هذه لا تأتي عادة إلا بعد ما يوجبها من حرب، أو ثورة، أو تمرد، وليس في الظروف اليومية المعتادة.

---

(١) نقلًا عن قصة الحضارة (٢/ ٣٣٤).

مولد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وفي هذه الظروف القاسية من حياة بني إسرائيل في مصر ولد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وخافت أمه عليه من القتل، ولكن عين الله تولته بالعناية، ومن الأمور ذات المغزى أن فرعون- وهو الذي يقتل الأبرياء من الأطفال، ويدعي الربوبية- هو نفسه الذي ينقذ موسى ويربيه ويرعاه، ولقد أوفى الكتاب العزيز هذه القصة حقها من الإيضاح، يقول تبارك وتعالى- في سورة القصص-:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، والآيات بعدها.

ولقد تربى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وترعرع في بيت فرعون، وبقيت لنا آثار تلك التربية ناطقًا بها اسم ذلك النبي العظيم، فالاسم موسى اسم فرعوني، وليس إسرائيليًّا، ولا من الأسماء التي كان يتسمى بها أفراد الشعب، ويغلب أن يكون اسمه «أحموس» ولكنه اختصر إلى المقطع الأخير منه، ثم مد آخره تعويضًا له عما حذف من أوله.

ويذهب بعض العلماء إلى أن لفظ «موسى» يعني باللغة المصرية القديمة - الهيروغلوفية- الماء، وقد سُمي بها موسى؛ لأنه وُجد بالماء، والتقطته زوجة فرعون من الماء.

بعثة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بُعث موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذه الفترة الحرجة من حياة بني إسرائيل في مصر، ومن الملاحظ: أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يقتصر في دعوته على قومه فقط، بل أجهد نفسه في دعوة فرعون إلى دين الله، وليس فرعون فقط بل فرعون وملأه من حاشيته وشعبه، ولما عصى فرعون وكذب بالمعجزات الكثيرة التي أيد الله بها موسى، طلب موسى من فرعون أن يطلق معه شعبه؛ ليخرجوا إلى البرية يعبدون فيها ربهم بعيدًا عن الظلم ونظام السخرة، ولكن فرعون رفض طلب موسى، ولم يقبل أن يرسل معه بني إسرائيل وزاد في تعذيبه إياهم وقسوته عليهم.

فلقد رأى فرعون أنه من الخسارة أن يعفيهم من أعمالهم التي وكلها إليهم، وكذلك خشى فرعون إن هو أطلقهم أن يلتقوا بأعداء مصر الشماليين ويتآمروا معهم على مصر، ويحتكم موسى وفرعون إلى السحر.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض المفسرين وبعض الباحثين اعتقادهم أن الله تعالى أرسل موسى وهارون إلى فرعون وملئه، والحق أن موسى أرسل إلى فرعون؛ لأن بني إسرائيل الذين بُعث إليهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانوا تحت يد فرعون، وما تكلم موسى مع فرعون إلا لهذا السبب، ولو كان موسى مرسلًا إلى فرعون والمصريين ما تركهم وفَرَّ هو وقومه إلى أرض سيناء، والقاعدة معروفة قالها رسول الله محمد ﷺ حين قال: «**كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت**

إلى كل أحمر وأسود...»[1]، والقرآن المجيد شاهد على أن موسى ما أرسل إلى فرعون إلا لأن بني إسرائيل عنده، يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥].

هذه هي الرسالة، وهذا الرسول، وهؤلاء المرسل إليهم، وقد تكرر هذا في القرآن بضع مرات.

ويتهم فرعون موسى بأنه ساحر، ويجمع له السحرة، وهم من بني إسرائيل قوم موسى ويحتكمون إلى السحر.

ومن الأمور ذات المغزى التي قد يخطئ فيها الكثيرون أن السحرة الذين جمعهم فرعون، وجمع الناس لكي يشاهدوا انتصارهم على موسى في السحر، هؤلاء السَّحرة لم يسحروا الحبال ولا العصي، ولا تحركت الحبال أو العصي من مكانها، ومن العجيب أن يجتهد الكثيرون لبيان كيفية تَحَرُّك العصي والحبال، مرة يقولون بأنها كانت مليئة بالزئبق، ومرة يكيفونها بأمور لا تدرى ما هي؟ بينما واقع الأمر أن السحرة لم يقتربوا بسحرهم من هذه الحبال والعصي، ولم يسحروها، وبالتالي لم تتحرك، وكان تحركها إنما هو تخييل وإيهام من السحرة أمام الموجودين ومنهم فرعون، ومنهم موسى رسول الله نفسه، خُيِّل إليه أنها تتحرك، وما تحركت، يقول الله تعالى- عن السحرة-:

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٥-٦٦].

---

(١) أخرجه مسلم، (٥٢١).

إذن الحبال والعصي لم تتحرك، وإنما كان تخييلًا وإيهامًا، حتى نبي الله ورسوله موسى- على نبينا وعليه السلام- خُيِّل إليه بسبب سحرهم أنها تسعى.

أما سحر السحرة فكان مُسَلَّطًا على أعين الناس، تمامًا مثل الذين يُنَوِّمون الناس تنويمًا مغناطيسيًّا، أو هو من هذا القبيل، قال تعالى- عن سحرة فرعون-:

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

المهم هنا أن القرآن المجيد- بنص قاطع صريح لا يحتمل التأويل- نفى تحرك العصي والحبال، وذكر أن ذلك من باب التخييل والإيهام وليس حقيقة، وأن التخيُّل كان بسبب سحرهم، قال تعالى- عن موسى-:

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ ﴾ [طه: ٦٦].

فـ«من» سببية، أي: بسبب سحرهم.

فالسَّحرة بنص القرآن المجيد لم يسحروا العصى والحبال، وإنما سحروا أعين الناس.

والملاحظة الهامة هنا أن الجميع الموجودين كانوا مسحورين بفعل السحرة، ولم يكن في الموجودين يَقظون يرون الأشياء على حقيقتها سوى السحرة أنفسهم، أما الآخرون فمسحورون؛ لذلك عندما ألقى موسى عصاه لم ير الموجودون المسحورون سوى أن حَيَّةً كبيرةً- عصا موسى- تلقف حَيَّةً صغيرة وتأكلها؛ لذلك لم يروا في موسى سوى أنه ساحر أكبر من هؤلاء الذين كانوا معهم؛ ولذلك قال لهم فرعون:

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١].

أما الذين رأوا الأمر على حقيقته فهم السحرة أنفسهم، رأوا حَيَّةً حقيقية تبتلع

حبالهم وعصيهم، وهنا أدركوا- كذلك- أن هذا لا يمكن أن يقع من بشر، بل هو فعل لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؛ لذلك ما أن رأوا فعل موسى حتى سقطوا على الأرض ساجدين لله رب العالمين، وربنا سبحانه لم يقل: فسجد السحرة، بل قال:

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٦].

كأنهم أحجار سقطت على الأرض، وكذلك لم يقولوا: آمنا بموسى وهارون، بل قالوا:

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٧-٤٨].

لأنهم عرفوا أن ذلك لا يكون من فعل موسى ولا هارون، بل من فعل الله ﷻ.

ويجتمع موسى والسحرة وينتصر عليهم، ويؤمن السحرة بموسى ومعهم جمهور كبير من المشاهدين، ويشتد إيذاء فرعون لهم بالقتل والصلب والتقطيع، ويأمر الله نبيه موسى أن يخرج ليلًا ومعه قومه، وحين يجد موسى البحر معترضًا طريقه يضربه بعصاه بأمر ربه، وينفلق البحر عن طريق يبس يسلكه موسى وقومه إلى رمال سيناء تاركين فرعون وجنده في لُجَّة البحر مثلًا وآية لمن خلفهم.

بنو إسرائيل في التيه

عاش بنو إسرائيل في مصر زمنًا يربو على الأربعمائة سنة، وفي هذه الفترة كانوا قد تركوا دين إبراهيم وانساقوا وراء أصنام المصريين وأوثانهم، وأولعوا بهذه الأوثان ولعًا شديدًا.

وقد ساعد على وثنية بني إسرائيل عوامل، أهمها:

١- أنهم كانوا الشعب المغلوب، والمغلوب دائمًا يقلد الغالب.

٢- ما طُبع عليه بنو إسرائيل من قسوة القلب، وغلظة الطبع، وجمود في المشاعر، كل هذا جعلهم دائمًا يميلون إلى المادة وإلى التجسيد، ولا يستطيعون أن يهضموا المجردات، أو يقنعوا بالإيمان بها.

٣- طول العهد الذي قضوه بين المصريين أنساهم كل ما يتعلق بدين آبائهم وأجدادهم.

٤- ما جُبل عليه هذا الشعب من نفعية مسرفة جعلهم لا يقيمون للمبادئ، أو القيم وزنًا على الإطلاق، وإنما هم جُبلوا على البحث عن المنفعة من أي طريق، والغاية لديهم تبرر الوسيلة، وحينما وجدوا أن المنفعة في بلد المصريين الوثنيين تقتضيهم أن يتخذوا الأوثان آلهة، تركوا دين التوحيد الذي هو دين آبائهم، فعلوا ذلك دون تردد.

المهم أن اليهود عاشوا في مصر فألفوا عبادة الأوثان ودربوا عليها، واطمأنوا إليها، وعندما جاءهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ساروا خلفه سيرةَ منفعةٍ ابتغاءَ أن ينجيهم من فرعون ويخلصهم من تعذيبه إياهم، واعتنقوا التوحيد تبعًا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن في قلوبهم كانت تقبع الوثنية التي أُشربوها في مصر، وحينما خرجوا من

مصر وراء موسى كانت الوثنية هي عقيدتهم الحقيقية، وأما التوحيد فلم يكن إلا مظهرًا زائفًا على غلاف نفوسهم.

ولقد أخذت هذه الحقيقة تظهر وتطل برأسها وذَنَبها على مدى تاريخهم كله، وابتدأ ظهور هذه الحقيقة بمجرد أن عبروا البحر خلف نبيهم، فحين خرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ووراءه بنو إسرائيل من مصر في طريقهم إلى سيناء مرُّوا بقوم يعكفون على أصنام لهم، فما كان منهم إلا أن طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصنامًا كهذه الأصنام؛ ليعبدوها كهؤلاء القوم، فعلوا ذلك وما زالت رمال البحر عالقة بنعالهم، ولم يستطيعوا صبرًا؛ ذلك أن منظر الأصنام حين رأوها حرك فيهم أشجانهم، وأيقظ فيهم الحقيقة الكامنة وراء المظهر الكاذب فطلبوا من نبيهم هذا المطلب العجيب.

يقول تبارك وتعالى:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨- ١٣٩].

وأخذ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يبين لهم بعد ذلك أسس عقيدتهم ويذكِّرهم بنعم الله عليهم:

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤٠- ١٤١].

ورغم ذلك ارتكبوا ما هو أفحش، فحين لم يجعل لهم نبيهم أصنامًا يعبدونها، انتظروا حتى ذهب لميقات ربه، ثم اتخذوا لأنفسهم وثنًا يعبدونه من دون الله.

وهذه الفعلة الشنعاء مع نوع الوثن الذي اختاروه للعبادة يؤكد ما ذهبنا إليه من أنهم لم يتخلصوا إطلاقًا من الوثنية التي ألفوها في مصر، فهم قد طلبوا من

موسى أن يجعل لهم أصنامًا، وحينما أبى عليهم ذلك انتظروا حتى ذهب إلى ميقات ربه ثم نفذوا ما طلبوا منه، فعبدوا الوثن.

ولكن أي وثن؟

إنه العجل، ولماذا العجل؟؛ لأن العجل كان معبود المصريين المنتشرة عبادته بينهم وطالما عبده بنو إسرائيل في مصر وداروا حوله تعبدًا وتبركًا، وقربوا إليه القرابين، ومعنى هذا: أنهم لم يتغيروا إطلاقًا عن حالهم في مصر إلا من السطح فقط.

يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وقال-تعالى- عن عبادة بني إسرائيل العجلَ-:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ .... مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله-تعالى-: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾[البقرة:٩٣].

يعني حبَّ عبادة العجل، لكنه-تعالى- عبر بذلك كأن العجل نفسه بلحمه وعظمه أصبح متمددًا في قلوبهم.

وبعد تلك المعاصي التي ارتكبها بنو إسرائيل في حق الله ونبيهم أراد الله سبحانه وتعالى أن يسكنهم أرضه المقدسة، فأمرهم على لسان نبيه أن يعدوا العدة للجهاد في سبيل الله، وتنفيذ أمره بدخول تلك الأرض، لكنهم أبوا وأساءوا الأدب.

والقصة- كما يحكيها المفسرون وأصحاب التاريخ-: أن بني إسرائيل عندما نجوا من فرعون وساروا في طريقهم إلى سيناء أوحى الله إلى نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يختار اثني عشر نقيبًا يبعث بهم إلى الأرض المقدسة؛ ليتحسسوا له أخبارها وأحوالها تمهيدًا لغزوها، فاختار موسى النقباء الاثني عشر، ثم أمرهم ألا يخبروا أحدًا من بني إسرائيل

بما سيرونه في الأرض التي بعثهم إليها، وأن يخبروه هو فقط، ولكن النقباء الاثني عشر عندما ذهبوا إلى الأرض المقدسة ووجدوا فيها قومًا جبارين في الحرب في عددها وفنونها رجعوا إلى قومهم، فلم يستمسك بوعد موسى منهم إلا اثنان أخفوا عن القوم ما رأوا هناك، ثم أمروا سبطيهم بطاعة موسى والسير من خلفه للجهاد في سبيل الله، ولكن النقباء العشرة الباقين نكثوا عهد موسى وأخبروا قومهم قائلين: إن هذه الأرض حقيقة تفيض عسلًا ولبنًا، ولكن فيها قومًا جبَّارين لو حاربناهم أهلكونا؛ لذلك نحن ننهاكم عن قتالهم وعن طاعة موسى، وحاول النقيبان الآخران أن يدعوا أقوامهم إلى طاعة موسى، ولكن سبطيهم ذهبوا فانضموا إلى الأسباط المنشقين، ثم عصوا موسى جميعهم، ورفع بنو إسرائيل أصواتهم بالبكاء، وقالوا: ياليتنا متنا في مصر، أو في هذه البرية، لماذا أتى بنا الرب إلى هنا؟ لكي نُقتل بسيوف الأعداء؟ وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة لهم؟ ثم طلبوا أن يقيموا رئيسًا لهم ويرجعوا إلى مصر، وحاول موسى معهم، ولكنهم لجُّوا في ذلة ونفور، وهنا أوحى الله إلى موسى أن هذه الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض جزاءَ عتوهم ونفورهم.

يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّٰرِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا

قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠- ٢٦].

وفي فترة التيه هذه لحق موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بربه، ومن قبله هارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومات موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قبل أن يدخل الأرض المقدسة، ودفن في كثيب أحمر، ووجهه إلى أرض فلسطين، بحيث كان يرى أرض فلسطين التي تمنى أن يدخلها، لكنَّ جُبنَ قومه أبى عليه تحقيق ما تمناه.

ومن بعد موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تولى قيادة بني إسرائيل يوشع بن نون، وكان يوشع صفيًّا لموسى واختاره موسى لقيادتهم قبل موته، واتجه يوشع بأتباعه إلى الأرض المقدسة ففتحها الله عليه، وكان يوشع جبارًا قاسيًا على بني إسرائيل فنجح معهم وأسلسوا له القياد، وعلى يده دخل بنو إسرائيل فلسطين لأول مرة، وكان ذلك أول عهدهم بالأرض المقدسة.

وقد اتسع ملك يوشع بعد ذلك، فقسم الأرض اثني عشر قسمًا، على عدد أسباط بني إسرائيل وأسكن كل سبط في أرض خاصة بهم.

وفي هذه الفترة التي تنحصر بين خروجهم من مصر ودخولهم فلسطين تتضح لنا شذرات من سمات هذا الجنس الخبيث:

من كفر بالله.

وشغب على رسل الله.

وجبن عن الجهاد في سبيل الله.

هذه الصفات، أو السمات جُبلت طباعهم عليها، وأُشربوها حتى صارت من أهم ما يميزهم عن بقية الأمم والشعوب على مدى التاريخ كله وحتى اليوم.

المبحث الخامس

بنو إسرائيل في فلسطين

قلنا: إن أول من أدخل بني إسرائيل الأرض المقدسة هو يوشع بن نون، وأنه قسمها بين أسباطهم الاثني عشر، ثم مات يوشع وخَلَّفَ بني إسرائيل على هذه الحال.

ومن بعد يوشع نستطيع تقسيم تاريخ بني إسرائيل في فلسطين إلى عهود ثلاثة:

١- عهد القضاة.

٢- عهد الملوك.

٣- عهد انقسام الملك وزواله.

عهد القضاة

(١١٣٠-١٠٣٠ ق م)

بعد أن مات يوشع وخلَّف بني إسرائيل أسباطًا كل سبط يسكن أرضًا خاصة به، أصبح بنو إسرائيل من بعده خاضعين للحكم الأبوي في الأسرة، فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شئون القبائل، وكان زعيم كل قبيلة يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذا ألجأتهم إلى هذا التعاون الظروفُ القاهرةُ التي لا مفر من التعاون فيها.

ثم أصبح زعماء القبائل ينتخبون من بينهم رئيسًا للقبائل كلها، وكان هذا الرئيس المنتخب يسمى «القاضي» وكان بعض هؤلاء القضاة نساء في بعض الأحيان، وفي سفر القضاة في توراة اليهود ذكر لقاضية تسمى «دبورة».

وهؤلاء القضاة كان حكمهم استشاريًّا غير ملزم ولا واجب على أي من القبائل، أو الأسباط، ولم يكن هؤلاء موظفين عموميين، بل كانوا زعماء عشائر، أو رجال حرب، أو كهنة، وقد نجم عن عدم وجود حاكم له واجب الطاعة على الجميع، بالإضافة إلى تقسيم الأرض بين الأسباط، أن بني إسرائيل لم يتكون منهم أمة واحدة، بل ظلت كل قبيلة، أو سبط يحكم نفسه دون الاندماج مع إخوته.

يقول ول ديورانت:

«ولم تتألف من الغزاة في يوم من الأيام أمة واحدة متماسكة، بل ظلوا زمانًا

طويلًا يؤلفون اثني عشر سبطًا مستقلين استقلالًا واسعًا، أو ضيقًا، نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة، بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة»[1].

ولم يكن بنو إسرائيل قد استولوا على أرض فلسطين كلها، وإنما استولوا منها على منطقة صغيرة، وظلت البلاد المتاخمة لهم تتهدَّدُهم على الدوام، وفي سفر القضاة كلام كثير عن الحروب الطاحنة والنكبات الكثيرة التي نزلت بهم على أيدي من حولهم من الفلسطينيين والسوريين والمصريين والموآبيين.

وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة بني إسرائيل أمام أعدائهم ونكباتهم ذلك الحكم المتخاذل المتمثل في حكم القضاة.

(١) قصة الحضارة (٢/ ٣٢٩).

عهد الملوك

(١٠٣٠-٩٣٥ ق م)

توالت الحروب ودارت رحاها سنوات بين بني إسرائيل وجيرانهم من الفلسطينيين والموآبيين، وكان بنو إسرائيل أثناء نظام القضاة- المتقدم الذكر- شتاتًا لا تجتمع لهم كلمة، ولا يجتمعون هم على زعيم، وكان ذلك سببًا في هزائمهم أمام أعدائهم واشتداد نكبات الحرب بهم، ومن هنا لم يكن بُدٌّ من أن يسقط هذا النظام تحت الحاجة الملحة إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف أمام الأعداء للدفاع عن الأرض والعرض.

فالحروب كانت السبب الرئيسي في سقوط نظام القضاة وقيام نظام الملوك، ونتيجة لذلك فلقد اجتمع عقلاء بني إسرائيل وتشاوروا فيما هم فيه، ثم وضعوا أيديهم على مكان الداء، ثم ذهبوا إلى نبي لهم يطلبون منه أن يقيم عليهم ملكًا بدلًا من القاضي، يملكه عليهم ليسيروا تحت لوائه إلى حرب الأعداء.

ولكن النبي الذي يعرف طبيعة الشغب والجبن في نفوس شعبه قال لهم: إنكم جبناء ولستم أهل حرب، أو جهاد، ولكنهم تمسكوا برأيهم ووعدوه بطاعة الملك الذي يعينه لهم، ويملِّكه عليهم، فاختار لهم نبيهم ملكًا ودلَّهم عليه، ولكنهم سرعان ما ارتدوا إلى طبيعة الشغب فيهم، فعارضوا نبيهم في شخص الملك وفي اختياره إياه، ثم عصوا ملكهم فلم يطيعوه، ثم جبنوا عن الجهاد في سبيل الله.

والقرآن العظيم يصور هذا، فيقول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٦- ٢٤٧].

والتوراة اليهودية تصور هذه الحادثة، فتقول:

«وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل ابنيه قضاةً لإسرائيل، وكان اسم ابنه البكر يوئيل، واسم ثانيه أبيا، كانا قاضيين في بئر سبع، ولم يسلك ابناه في طريقه، بل مالا وراء الكسب، وأخذا الرشوة وعوَّجا القضاء، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة، وقالوا له: هو ذا أنت قد شخت، وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب، فساء الأمر في عيني صموئيل؛ إذ قالوا: أعطنا ملكًا يقضي لنا، وصلى صموئيل إلى الرب، فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك؛ لأنهم لم يرفضوك أنت، إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم، حسب كل أعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم، وتركوني وعبدوا آلهة أخرى، هكذا هم عاملون بك- أيضًا- فالآن اسمع لصوتهم، ولكن أشهد عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم، فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكًا بجميع كلام

الرب، وقال: هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم: يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه، لمراكبه وفرسانه، فيركضون أمام مراكبه، ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين، فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده، ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم، أجودها ويعطيها لعبيده، ويعشر زروعكم وكرومكم، ويعطي لخصيانه وعبيده، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله، ويعشر غنمكم وأنتم تكونون له عبيدًا، فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم، فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم، فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل، وقالوا: لا بل يكون علينا ملك، فنكون نحن- أيضًا- مثل سائر الشعوب، ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حربنا»[1].

وحينما ملَّك عليهم نبيُّهم ملكًا وقعوا فيما كان يتوقع منهم من شغبٍ على الملك، وجُبنٍ عن الجهاد في سبيل الله، فبدأوا بالشغب على اختياره، وقالوا: «أنَّى يكون له الملك علينا؟ ثم جبنوا عن الذهاب إلى الحرب تحت لوائه، وقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، ولكن داود يقتل جالوت، ويملك عليهم، ثم بعد داود يملك ابنه سليمان - عليهما السلام-، وهذان النبيان الكريمان كانا من أعظم أنبياء بني إسرائيل وملوكهم في نفس الوقت، ولم يكن بنو إسرائيل في يوم من الأيام كما كانوا على عهد هذين النبيين عزة وكرامة وثراء وقوة، ورغم ذلك كله أبى طبعهم الخبيث إلا أن يرموا هذين النبيين بأشنع الأوصاف، وأقبح التهم على ما بينا قبل ذلك.

وبانتهاء عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ينتهي عهد الملوك، ثم يبدأ العهد الذي يليه.

---

(١) صموئيل الأول، الإصحاح الثامن.

عهد انقسام المملكة

ظل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ طوال عهده يعمل على تقوية شعبه، وتوسيع نفوذ دولته، وإشاعة هيبتها في كل مكان، وتم له ما أراد.

ولكن حدث بعد وفاته أن أعلن ابنه «رحبعام» نفسه ملكًا على بني إسرائيل مكان أبيه، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم، ثم انتقل رحبعام إلى الشمال ليحصل على مبايعة بقية الأسباط، وهناك اجتمع شيوخ هؤلاء الأسباط وتشاوروا فيما بينهم، ثم اتجهوا إلى رحبعام قائلين له: «إن أباك قَسَّى نِيرَنَا، وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية، ومن نِيرِهِ الثقيل الذي جعله علينا»[1].

وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لمعرفته طباع هذا الشعب الخبيث قاسيًا عليهم يأخذهم بالشدة والحزم.

وأراد هؤلاء الأسباط العشرة أن يستوثقوا لأنفسهم من ابنه أنه لن يكون مثله، ولكن رحبعام رفض أن يعدهم بالتخفيف من قسوة أبيه السابقة، بل اشتد عليهم أكثر، وقال لهم: «إن خنصري أغلظ من متن أبي، والآن أبي حملكم نيرًا ثقيلًا، وأنا أزيد على نيركم، أبي أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب»[2].

وبسبب رفض رحبعام أن يعدهم بالرحمة رفض هؤلاء الأسباط العشرة أن يبايعوه، وذهبوا إلى أخ له يسمى «يربعام» وبايعوه ملكًا عليهم، وكان «يربعام»

---

(١) سفر الملوك الأول (١٢: ٤).

(٢) سفر الملوك الأول (١٢: ١١).

هذا قد ثار على أبيه في حياته وحاول الاستيلاء على الملك عنوة، وأحدث فتنة كبيرة، ثم خشى أباه ففر هاربًا إلى مصر، ولم يحضر من مصر إلا حين علم بوفاة أبيه، وحين علم «رحبعام» بهذا الذي اعتبره خيانة من الأسباط العشرة وتعديًا من أخيه على حقه، أراد أن يحارب أخاه ويجمع الأسباط عليه، غير أن بعض العقلاء من حوله نصحوا له بألا يقدم على تلك الخطوة، وأن يقبل الوضع على ما هو عليه، ومنذ ذلك استقر الوضع على هذا التقسيم:

١- مملكة في الشمال، وتتكون من الأسباط العشرة، وتسمى مملكة إسرائيل، وعاصمتها «شكيم» التي هي مدينة «نابلس» الآن.

٢- مملكة في الجنوب، وتتكون من سبطي يهوذا وبنيامين، وتسمى مملكة «يهوذا» وعاصمتها «أورشليم» التي هي مدينة القدس الآن.

ولقد كان تاريخ هاتين المملكتين كله تاريخ حروب ونكبات لم تنقطع، فسوريا وبابل من الشمال، ومصر من الجنوب، كل هذه الدول كانت تسعى للسيطرة على هاتين المملكتين، أو إحداهما، بل كانت هذه الدول كثيرًا ما تدخل في الصراع معًا بسبب السيطرة على تلك المنطقة.

يقول ول ديورانت:

«... ولكن كان من حسن حظ فلسطين- أو من سوء حظها- أن تقع بين عواصم النيل وعواصم دجلة والفرات، وهذا الموقع قد جاء إلى بلاد اليهود بالتجارة كما جاءها بالحرب؛ وكم من مرة ضيق على اليهود فلم يجدوا مخرجًا لهم من ضيقهم إلا بالانضمام إلى أحد الطرفين في الصراع القائم بين الإمبراطوريات الكبرى، أو بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون؛ وكم من مرة اجتاح المصارعون بلادهم، وكان من وراء هذا كله موقع اليهود الذي تتهدده الأخطار، بين شِقي

الرحى، من فوقهم دول أرض الجزيرة ومن تحتهم مصر»[١].

ومما هو جدير بالذكر: أن بني إسرائيل كانوا- كما ذكرنا- يقيمون داخل منطقة صغيرة من أرض فلسطين، ولم يحدث أنهم استولوا على أرض فلسطين، أو الأرض الموعودة كلها في فترة من الفترات، وحتى في هذه المنطقة الضيقة فإن تاريخهم فيها تاريخ لا يكاد يلتفت إليه التاريخ، فهم لم يستولوا على هذه المنطقة إلا فترة تعد في تاريخ الدول هامشًا من هوامش التاريخ، فتاريخ اليهود بتلك المنطقة ينحصر بين دخول يوشع إليها، واستيلاء بختنصر على مملكة يهوذا، وهي حوالي أربعة قرون ونصف قرن، ومع ذلك فإننا لو أخذنا في اعتبارنا أن هذه الفترة كانت في جملتها سيطرة لدول المنطقة على المملكة اليهودية، فإننا لا نكاد نذكر أن اليهود قد تسيدوا على أنفسهم إلا في فترة لا تكاد تبلغ نصف قرن، وهي المدة التي حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام، وحتى هذه الأربعة القرون والنصف لو أخذناها كلها في الاعتبار، فسنجدها مدة قصيرة جدًّا إذا قيست بتاريخ المنطقة كلها، أو بتاريخ العرب فيها سواء قبل دخول اليهود إليها، أو بعد خروجهم وفتح الإسلام إياها.

يقول أحمد شلبي- نقلًا عن المؤرخ (ولز)-: «وهكذا انتهت القرون التي عاشتها المملكة العبرانية، وكانت من بدايتها حتى نهايتها مجرد حديث صغير على هامش أحداث تاريخ مصر وآشور وسوريا وفينيقيا»[٢].

---

(١) قصة الحضارة (٢/ ٣٢١- ٣٢٢).

(٢) اليهودية (ص٦٥).

سقوط المملكة
الإسرائيلية وزوالها

ظلت مملكتا اليهود في الشمال، وفي الجنوب تعاني من ويلات الحروب ومحاولات مَن حولهما الاستيلاء عليهما، حتى جاء عام ٧٢١ قبل الميلاد فاستولى «سرجون الثاني» ملك آشور على مملكة إسرائيل في الشمال، فانضمت هذه المملكة إلى ممتلكات آشور، ثم غزت بابل مملكة آشور واستولت عليها، وأصبحت آشور وممتلكاتها- ومن بينها مملكة إسرائيل- تحت حكم بابل.

وفي عام ٦٠٨ قبل الميلاد زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا في الجنوب فاستولى عليها، ثم تابع زحفه حتى وصل إلى مملكة إسرائيل في الشمال التابعة لمملكة بابل فاستولى عليها هي الأخرى، وغضب لذلك ملك بابل بختنصر فزحف على مملكة إسرائيل فهزم فرعون واستردها منه، ثم تابع زحفه فاستولى على مملكة يهوذا في الجنوب عام ٦٠٦ قبل الميلاد، وبذلك أصبحت المملكتان تابعتين لحكم بابل، وعندما استولى بختنصر على مملكة يهوذا نهبها وأقام عليها الكاهن صدقيا بن يواقيم حاكمًا لها، ولكن صدقيا ثار على بختنصر، فعاد إليه بختنصر عام ٥٩٩ قبل الميلاد، وضرب مملكة يهوذا ضربة قوية وأخضعها، وثار عليه اليهود مرة ثانية فعاد إليهم بختنصر لإخضاعهم، ولكن بختنصر عاد في هذه المرة وفي نيته أن يقضي على هذه المملكة نهائيًّا، وعلى هذا الجنس الخبيث، ففي عام ٥٨٦ قبل الميلاد دخل بختنصر أورشليم فقتل صدقيا وأسرته، ودمر مدينة

أورشليم وأحرقها، وأحرق الهيكل وسوَّى به الأرض، وقتل من شعب المملكة الآلاف الكثيرة، ثم استاق من بقي من هذا الشعب اليهودي أسرى إلى بابل، وهذه الحادثة تسمى في تاريخ اليهود بالأسر البابلي.

وهكذا قُضي على مملكة يهوذا نهائيًّا في عام ٥٨٦ قبل الميلاد، كما قُضي على شقيقتها مملكة الشمال قبل ذلك التاريخ في عام ٧٢١ قبل الميلاد.

ومنذ ذلك التاريخ لم تقم لليهود دولة في فلسطين، حتى بعد أن عادوا إليها على يد قورش الفارسي؛ لأنهم حين عادوا إليها على يده عادوا إليها كأمة وليس كدولة، حيث عادوا إليها محكومين لغيرهم، ورعايا لحكام أجانب، فكانوا مجرد رعايا في دولة أجنبية، وبعد أن دمر بختنصر أورشليم وأحرق الهيكل في عام ٥٨٦ قبل الميلاد، وقد ظل اليهود على حالهم من النفي والسبي حوالي نصف قرن، ثم وقعت بابل تحت الحكم الفارسي حيث استولى عليها قورش ملك الفرس، وقورش هذا كان قد تربَّى في حضن فاجرة يهودية تسمى أستير، وقد نجحت هذه الغانية في أن تغرس فيه حب اليهود، والإخلاص لهم والعمل على تحقيق أحلامهم وأمانيهم، وفي التوراة اليهودية سفر خاص يسمى سفر أستير على اسم هذه الفاجرة، وهذا السفر يشرح بالتفصيل ما فعلته هذه المرأة اللعوب من مؤامرات خسيسة من أجل بني جنسها اليهود.

وحين استولى قورش هذا على بابل عامل اليهود معاملة حسنة، ثم سمح لهم بالعودة إلى أورشليم وإقامة الهيكل، وساعد في ذلك بأمواله ورجاله ونفوذه، والفضل في ذلك كله يرجع إلى أستير، فالهيكل قام في هذه المرة على شرف امرأة

خاطئة، ولقد أشرنا من قبل إلى أن اليهود حينما عادوا إلى أورشليم لم يعودوا إليها كدولة وإنما عادوا إليها كأمة، **وفي ذلك يقول أحمد شلبي:**

«لم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت رحلتها بعد سنتين من مجيء قورش، وفي بيت المقدس أعاد هؤلاء بناء الهيكل بتصريح من قورش، وكانت عودة اليهود من النفي عودة الأمة، وليست عودة الدولة؛ فإن بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له» [١].

وإذا كان خراب أورشليم الأول على يد بختنصر عام ٥٨٦ قبل الميلاد قد قضى على اليهود كدولة، فإن خرابها على يد الرومان عام ٧٠ بعد الميلاد قد قضى على اليهود كأمة، وشردهم في بقاع الأرض فلم تقم لهم بعدها قائمة، وتفصيل ذلك:

أن الرومان استولوا على فلسطين إثر نزاع وقع بين هركانس المكابي، وأخيه أرستوبولس، حيث انتهز الرومان هذه الفرصة وبسطوا نفوذهم على فلسطين كلها، وكان ذلك عام ٦٣ قبل الميلاد، وبذلك دخل اليهود تحت الحكم الروماني، ولكنهم لم يقلعوا عن الثورات ضد الرومان، وكان الرومان يخضعونهم في كل مرة، حتى أتاهم القائد الروماني الشهير فاسباسيان، فحاصر اليهود في أورشليم وضيَّق عليهم، وظل على حصاره إياهم حتى انتخبه الرومان إمبراطورًا لهم، فخلف ابنه تيطس، على حرب اليهود، وحاصرهم تيطس هذا حتى انتصر عليهم ودخل أورشليم، فمزَّق شمل اليهود كل ممزق، ودكَّ أورشليم دكًّا، ودمرها عن آخرها، وأحرق الهيكل بالنار، وقتل من اليهود في تلك الواقعة ما يقرب من

---

(١) اليهودية (ص٦٦).

مليون نسمة، وكان ذلك في عام ٧٠ م.

ويقول في ذلك شاهين مكاريوس صاحب كتاب تاريخ الإسرائيليين:

«وإلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة؛ فإنهم بعد خراب أورشليم الثاني على يد تيطس الروماني، تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطَّنوها، أو نزلوا فيها» [1].

وبعد تدمير الرومان لأورشليم فرَّ مَن بقي من اليهود إلى البلاد المجاورة كمصر وليبيا وجزيرة العرب وقبرص وغيرها.

ومنذ خراب أورشليم الأول على يد بختنصر عام ٥٨٦ قبل الميلاد، حتى خرابها الثاني على يد تيطس عام ٧٠م، توالت على حكم اليهود دول عديدة نبينها ونذكر تاريخ كل منها في هذه المنطقة فيما يلي:

١- البابليون: من سنة ٦٠٦ إلى سنة ٥٣٨ ق.م.

٢- الفرس: من سنة ٥٣٨ إلى سنة ٣٣٠ ق. م.

٣- اليونان: من سنة ٣٣٠ إلى سنة ٣٣٣ ق. م.

٤- البطالسة: من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٢٠٠ ق. م.

٥- السلوقيون: من سنة ٢٠٠ إلى سنة ١٦٧ ق.م.

٦- السلوقيون والمكابيون: من سنة ١٦٧ إلى سنة ٦٣ ق.م.

٧- الرومان: من سنة ٦٣ قبل الميلاد إلى سنة ٦١٤ بعد الميلاد.

ومن بعد الرومان فتح الله فلسطين على المسلمين في عهد الخليفة العادل عمر

---

(١) نقلًا عن كتاب: بنو إسرائيل في القرآن، د. محمد سيد طنطاوي (١/ ٧٠- ٧١).

ابن الخطاب، وبفتح المسلمين فلسطين عادت هذه الرقعة من الأرض عربية لحمًا ودمًا، وقد سبق أن بينا تاريخ هذه المنطقة، وأنها كانت عربية إثر الهجرات العربية المبكرة، ثم دخلها اليهود على ما أوضحنا، ثم جاء الفتح الإسلامي فأعاد إليها عروبتها كاملة، ووضع الحق في نصابه، وكانت حين الفتح الإسلامي إياها خالية من اليهود تمامًا، وكان من شروط تسليم المدينة التي اشترطها «صفرونيوس» بطريرك النصارى الذي كان حاكمًا على مدينة القدس: ألَّا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود، وأصبحت فلسطين بذلك عربية إسلامية ليس فيها إلا المسلمون، والنصارى تحت حكم المسلمين، وليس فيها يهودي واحد، بينما كان اليهود في ذلك الزمان ينزلون ضيوفًا أرذالًا مستذَلِّين على الدول العربية، على ما نبين ذلك في مكان آخر من الكتاب -بحوله تعالى-.

المشردون

وهذا الوصف من أحق الأوصاف التصاقًا ببني إسرائيل، فقد ابتدأ تاريخهم بهذا الوصف، وما يزال كذلك، وسيظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، تحقيقًا لوعد الله تبارك وتعالى:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقوله ﷻ:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ولقد تكلَّمنا عنهم منذ نشأتهم حتى تدمير أورشليم على يد تيطس الروماني.

وحتى تكتمل تلك الفائدة نرى من الواجب أن نتكلم عن بقية تاريخهم في التشرد حتى اليوم بإجمال وإيجاز.

أولًا: عند الرومان:

أ- أشرنا إلى تدمير تيطس الروماني أورشليم عام ٧٠ م، وتشتت اليهود بعد ذلك.

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد.

فلقد ثار اليهود بعد ذلك ثورة كبيرة عام ١٣٥ م، فحاصرهم القائد الروماني هادريان، ودمر أورشليم مرة أخرى تدميرًا تامًّا، وحرث أرضها، وتخلص من

البقية الباقية من اليهود، ما بين تقتيل وتشريد، فرحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمال إفريقية وأسبانيا، وأوربا، وأقام الرومان مكان الهيكل اليهودي هيكلًا وثنيًّا باسم إلههم المشتري (جوبيتر)؛ إذ لم تكن النصرانية قد اعتُرف بها بعد.

ب- وقد حاول اليهود أن يستردوا حياتهم بعد ذلك عام ١٦١م ولكنهم أخفقوا، وحرم عليهم الرومان دخول مدينة أورشليم إلا في ذكرى تخريبها لكي يندبوا ويبكوا أمام حائط الهيكل المهدم، وذلك نظير ضريبة معينة.

جـ- وتمكن اليهود بعد ذلك من إنشاء المجلس اليهودي القومي في طبرية، وقوامه واحد وسبعون عالمًا من علمائهم، ولكن هذه الصحوة انتكست يوم اعتنق الإمبراطور قسطنطين النصرانية، فقد اضطهد اليهود واليهودية وفرض عليهم قيودًا، وأغلق عليهم في مجتمعهم بما يعرف بـ: «الجيتو».

د- وفي عام ٤٢٥م ألغى الرومان الحاخامية اليهودية، وحلَّت الكنائس النصرانية اليونانية محل المعابد والمدارس اليهودية، وبعد فترة تخلت فلسطين تمامًا عن زعامة العالم اليهودي، وذلك عام ٦١٤م حين فتحها المسلمون.

ثانيًا: عند المسلمين:

هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة في سبيل نشر الإسلام دين الله، وأول من أراد أن يوطد معهم رسول الله- عليه الصلاة والسلام- دعائم السلام إنما هم يهود المدينة، فعقد رسول الله ﷺ معهم المعاهدات على حسن الجوار وصيانة السلام، ولكن فشلت محاولات الرسول معهم لصيانة السلام وتقليم أظافر العدوان فيهم؛ ولذا فقد تولى رسول الله- عليه الصلاة والسلام- عقاب كل طائفة منهم بما يتفق مع جرمها، وعلى سبيل المثال:

أ- أجلى بني النضير عن المدينة.

ب- ومثل ذلك حدث لبني قينقاع.

جـ- استأصل شأفة بني قريظة، بقتل رجالهم، وسبي نسائهم وأطفالهم.

د- حاصر يهود خيبر، وبعد أن قتل كثيرًا منهم وأذلهم، صالحهم على شروطه وتركهم على تنفيذها.

وكانت آخر أقواله ﷺ قبل وفاته أن أوصى أصحابه بطرد اليهود من جزيرة العرب نهائيًّا، قائلًا: «**لَأُخرجن اليهودَ، والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعَ بها إلا مسلمًا**».

وقال: «**أَخرِجوا اليهود من جزيرة العرب؛ لا يبقى في جزيرة العرب دينان**»[1].

ولقد نفذ الخليفة العادل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر الرسول ﷺ، فقام بإجلاء اليهود عن جزيرة العرب كلها في عهده حتى لم يَبْقَ بها يهودي واحد.

ثالثًا: عند الإنجليز:

أ- أصدر الملك «هنري الثالث» أمرًا بتعذيب اليهود وحبسهم في جميع مملكته؛ لأنه اكتشف أنهم كانوا ينزعون جزءًا من ذهب وفضة العملة الرسمية للدولة، ثم يسلمونها للتجار لتداولها.

ب- أصدر الملك إدوارد الأول حكمًا بالإعدام على مائتي يهودي؛ لنفس الجريمة السابقة وهي سرقة ذهب وفضة العملة الرسمية.

جـ- في سنة ١٣٩٨م اشتكى الشعب البريطاني من اليهود، فأصدر هذا الملك

---

(١) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٧٦٧).

نفسه أمرًا بطرد اليهود من جميع مملكته في خلال ثلاثة أشهر.

ولكن الشعب لم يستطع صبرًا فهاجم اليهود وقتلهم في كل مكان؛ مما اضطر الملك إلى تعجيل ترحيلهم خوفًا من فتك الشعب بهم.

رابعًا: عند الفرنسيين:

أ- ألغى «لويس التاسع» ثلث ما كان لهم من ديون على الشعب والحكومة.

ب- أصدر هذا الملك نفسه أمرًا بحرق جميع كتبهم المقدسة وبخاصة التلمود.

جـ- في عهد «فيليب الجميل» قُتلوا وذُبحوا، أو نُهبوا، ثم طرد من بقي منهم خارج فرنسا، ثم صرح لهم بالعودة بعد أن دفعوا للدولة ثلثي أموالهم.

د- وفي عام ١٣٤١م هاج الشعب الفرنسي في أواسط فرنسا وذبحوا اليهود وطردوهم، وفي عام ١٣٩٤م لم يكن في فرنسا يهودي واحد.

هـ- وفي عام ١٧٩٠م استغلوا «ميرابو» فدافع عن حقهم، ثم استغلهم نابليون لصالحه في تحقيق أطماعه في الشرق العربي، ثم ما لبث النفوذ اليهودي أن تسلل إلى فرنسا وتغلغل فيها بعد براءة الضابط اليهودي «دريفوس» من تهمة الخيانة، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر وفرنسا مسخرة لتحقيق أطماع الصهيونية العالمية، حتى جاء الرئيس الحر «شارل دي جول» فحرر فرنسا من نفوذ الصهيونية، وأقام منها صديقة للحق مدافعة عنه، ثم انتكست الأمور بفرنسا بعد ذلك.

خامسًا: عند الأسبان:

وصلت موجة البطش والتقتيل وتعذيب اليهود في أسبانيا أوجها في عهد الملك «فرديناند» وزوجته الملكة «إيزابيلا» وقد أصدر الملك مرسومًا في ٣١ مارس ١٤٩٢م ينص على طرد اليهود نهائيًّا- ذكورًا وإناثًا ومن جميع الأعمار-

خارج البلاد، في موعد أقصاه آخر يوليو من نفس السنة، وبناء على هذا القرار طرد اليهود شرَّ طردة بعد أن أُرغموا على ترك أموالهم وممتلكاتهم، وكان الذين طُردوا من أسبانيا بسبب هذا القرار زهاءَ نصف مليون يهودي.

سادسًا: عند الإيطاليين:

أ- حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم العديدة بتكفيرهم وتسفيه ديانتهم التي تقوم على التلمود.

ب- وفي عام ١٢٤٢م أعلن البابا «جريجوري التاسع» اتهامات صريحة ضد التلمود الذي يطعن في المسيح والمسيحية، ثم كوَّن لجنة لفحص هذه الاتهامات التي ظهرت صحتها وأيدتها اللجنة وأصدرت أمرا بحرق التلمود.

جـ- وقد ضاق الشعب بأخلاق اليهود، وثار عليهم في أماكن مختلفة من البلاد، وبخاصة في نابولي التي فتك بهم شعبها، وطرد البقية منهم عام ١٥٤٠م.

سابعًا: عند الروس:

كان يعيش في روسيا نصف يهود العالم تقريبًا خلال القرن التاسع عشر، وقد استعملوا خلال إقامتهم في روسيا كل وسائلهم الخبيثة ضد الشعب، من تدمير وتخريب وإقراض بالربا، وفتح حانات الخمور وأماكن القمار... إلخ؛ ولذلك نقم عليهم الشعب الروسي، وأقام لهم المذابح التي من أشهرها مذبحة عام ١٨٨١م، ١٨٨٢م، فقد حاول الفلاحون الروس في هاتين السنتين أن يقضوا على اليهود قضاءً تامًّا، عندما نشر الكاتب الروسي نسخًا قليلة من بروتوكولات حكماء صهيون، وعمت المذابح في روسيا كلها، حتى قُتل منهم في إحداها نحو عشرة آلاف نسمة.

ثامنًا: عند الألمان:

انتشر اليهود في مدن ألمانيا منذ القرن الثامن الميلادي، واستغلوا الشعب الألماني أسوأ استغلال؛ ولذلك كثيرًا ما هاج الشعب ضدهم وأقام لهم المذابح والتقتيل والتشريد والطرد، وكان آخر ما لا قوه من أهوال العذاب على يد هتلر ابتداءً من توليه الحكم عام ١٩٣٣م حتى سقوط حكمه عام ١٩٤٥م، حيث أحرق من أحرق منهم، وطرد من طرد.

مما تقدَّم يتبين لنا أن وصف المشردين يصح أن يكون وصفًا مميزًا لهذا الجنس الخبيث، حتى أنه لو وضع بجانب أسمائهم التي اشتُهروا بها مثل بني إسرائيل، أو اليهود، أو العبرانيين لَمَا نقص عنها، بل ربما كان أقواها دلالة على هذه الطغمة الفاسدة المفسدة من كثرة ما لا قت من تشريد واضطهاد.

والدرس الواضح الذي نخرج به من هذا العرض لحياة اليهود- عبر تاريخهم المتشتت المشرد- هو أن نوقن اليقين الجازم أن التشرد والتشتت هو قدرهم الذي لا يتخلف، ولن يتخلف، ولا يخدعنا هذا البريق الزائف؛ لاستيطانهم قطعة من الأرض يطلقون عليها اسم إحدى مملكتيهم القديمتين، ويحاولون أن يستقطبوا حولها مشاعر اليهود في كل بقاع العالم.

نقول: لا يجب أن يخدعنا هذا البريق الزائف؛ فإن الدليل على زيفه وكذبه نستقيه من تاريخهم ذاته، فإننا كثيرًا ما نجد في ثنايا ذلك التاريخ أن اليهود قد ثبتوا أقدامهم على قطعة من الأرض، وأقاموا لهم على هذه القطعة دولةً وسلطانًا، وأصبح لهم عليها سيادة وحرية، وربما دام ذلك بضع عشرات من السنين، وربما

دخل في الروع أن الزمان ابتسم لهم، وأن الدهر أدار لهم وجهه، وأنهم أمنوا التشرد والتشتت نهائيًّا، ولكن رغم ذلك كله ما تلبث لعنة الله أن تلحق بهم، وما يلبث وعد الله أن يتحقق فيهم بالتشرد، والذلة، والغضب، واللعنة، وكلما دار الزمان دورة أخذ هذا الوعد صورة جديدة في تعذيبهم والتنكيل بهم، وسخر الله من جنده مِن الخلق مَن يتولى تنفيذ هذا الوعد في كل زمان ومكان.

وإن الدراس لبعض ظروف استيطانهم فيما مضى ليجدها كانت أقوى وأكثر عطاءً ومنحًا بالنسبة إليهم منها الآن.

وهنا يتطابق تمامًا إيعاد الله الأزلي لهم مع الواقع والظروف الموضوعية.

ونحن لا نسوق هذه الكلمة حتى نوحي بنهايتهم لمن لا يعرفها، وإنما نهايتهم نحن نعلمها ونثق فيها ثقتنا بكلمات الله وحقيقتها، تلك الكلمات المعصومة التي لا تتخلف.

ومن تلك الكلمات: قول الله سبحانه:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

وقوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

فهذه كلمة الحق تبارك وتعالى تحكم عليهم إلى يوم القيامة بالعذاب والتشرد على أيدي الدول والشعوب، وليس بعد كلمة الله كلمة.

الفَصْلُ الثَّانِي

رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ
في القرآن العظيم

- المبحث الأول: الرسالة والرسول.
- المبحث الثاني: صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الأول

الرسالة والرسول

تناول الحق تبارك وتعالى رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبيان والتوضيح في آيات كثيرة من كتابة العزيز، القرآن العظيم.

وقد تضمن القرآن الكريم حديثًا مستفيضًا عن التوراة- كتاب الله الذي أنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- وقد بين القرآن كثيرًا من الجوانب التي اشتملت عليها التوراة، من العقائد والأعمال والآداب، ونحن نشير إلى ذلك بإيجاز بحول الله تعالى:

١- بعثة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بعث الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولًا إلى بني إسرائيل، وبنو إسرائيل آنذاك في مصر مستعبدون من فرعون وملئه، فأمر الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو فرعون وملأه إلى الإيمان بالله رب العالمين:

يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٠-١٧].

فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مرسل إلى بني إسرائيل خاصة، فرسالته خاصة بقومه وليست عامة، ولكن لما كان قومه بنو إسرائيل تحت سلطان فرعون وجبروته، دعاه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الإيمان بالله، ودعا ملأه كذلك.

يقول ﷻ:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات: ١٥- ٢١].

ولما أصر فرعون وقومه على الكفر، ولـجُّوا في العناد، طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من فرعون أن يخلي سبيل بني إسرائيل، ويتركهم يعبدون ربهم، ويطيعون رسولهم، وهذا ما ورد في الآيات التي ذكرناها من سورة الشعراء، حين يئس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من إيمان فرعون، فقال له:

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧].

ولكن فرعون يلجُّ في طغيانه، ويمنع بني إسرائيل من عبادة ربهم، وطاعة نبيهم فيفر موسى ببني إسرائيل من مصر عبر البحر الأحمر بمعجزة عظيمة، ليستقر وقومه في أرض سيناء.

٢- التوراة كتاب الله المنزل على موسى:

أنزل الله تعالى التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هدايةً ونورًا، وقد أنزلت التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحيًا من قبل الله تعالى كشأن سائر الكتب التي أنزلها الله سبحانه على رسله، يقول تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى

جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١].

٣- التوراة فيها حكم الله:

أنزل الله تعالى التوراة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد اشتملت التوراة على حكم الله سبحانه وإقامة حكم الله الوارد في التوراة واجب على بني إسرائيل، واجب عليهم إقامة حكم الله الذي جاءت به التوراة، وهم مطالَبون بإقامة حكم الله قبل بعثة محمد ﷺ، وكذلك هم مطالَبون بإقامة التوراة- أيضًا- بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام.

أما إقامة حكم التوراة قبل بعثة رسول الله الخاتم محمد- عليه الصلاة والسلام- فذلك بتطبيق ما ورد فيها من أحكام واتباع ما جاء بها من شرائع.

وأما إقامة ما ورد في التوراة من حكم الله بعد بعثة محمد رسول الله الخاتم عليه الصلاة والسلام فإنما يكون باتباع ما جاء فيها وتطبيقه، من وجوب الاستجابة لرسول الله محمد- عليه الصلاة والسلام- لمن أدرك بعثته وعاصر دعوته، فهذا يجب عليه أن يدع ما هو عليه من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واتباع محمد- عليه الصلاة والسلام- والسير على هداه، فلقد ورد في توراة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البشارة برسول الله محمد ﷺ وعرفها اليهود وآمنوا بها، وتشوَّفوا إليها؛ ولذلك كانوا يستفتحون على مشركي المدينة بذلك النبي الذي سوف يبعث داعيًا إلى الله الواحد، يقول الحق جل وعلا:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فإقامة حكم التوراة واجب على بني إسرائيل، يستوى في ذلك من لم يدرك

بعثة محمد ﷺ ومن أدركها.

والجميع ملزَمون بالإيمان ببعثته ﷺ، وأنه نبي آخر الزمان فلا نبي بعده، وهذا الإيمان واجب؛ لأنه نص صريح قاطع في توراتهم، ولا يتحقق إيمانهم بالتوراة إلا بالإيمان بذلك، والإقرار به، وقد آمنوا به وأقروا قبل بعثة رسول الله ﷺ وكانوا يستفتحون على الذين كفروا من مشركي المدينة بنبي آخر الزمان.

يقول تبارك وتعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ويقول ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

لذلك كان اليهود ملزَمين باتباع رسول الله الخاتم محمد- عليه الصلاة والسلام-، وهم ملزَمون بذلك بمقتضى إيمانهم بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبالكتاب المنزل على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فاتِّباعُهم رسولَ الله الخاتم إقامةٌ للتوراة، ورفضُ ذلك تعطيلٌ لأحكامها.

يقول الله سبحانه:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨].

ويقول تعالى:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٣].

٤- رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تقوم على نفس الأسس العقدية التي قامت عليها رسالات الرسل السابقين: والتي قامت عليها رسالة خاتمهم عليه الصلاة والسلام؛ فقد قامت رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على توحيد الله ونفي الشرك والوثنية كشأن رسالات الله جميعًا.

يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكذلك قامت رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الإيمان بالأسس العقدية الستة التي قامت عليها الرسالات جميعها، وهذه الأسس هي مناط الوحدة والاتفاق والالتقاء بين رسالات الله كلها.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ موضحًا أن الدين واحد في جوهره وأسسه:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

فرسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

وقد وردت هذه الأسس كاملة في آية البر من سورة البقرة، يقول سبحانه وتعالى:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذه الآية وغيرها في معناها يبين وحدة العقيدة التي هي أساس الدين بين رسالات الله كلها.

وقد سبق بيان ذلك في غير هذا الموضع بتفصيل لا نحتاج معه إلى إعادة، أو تكرار.

المبحث الثاني

صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في العبادات

ذكر القرآن الكريم صورًا من العبادات في شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعضها موجز، وبعضها على قدر من التفصيل، ونحن نذكر هنا بعضًا من هذه العبادات.

فالقرآن الكريم يذكر أن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءت بصلاة وزكاة وصدقات، يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [المائدة: ١٢].

وهذه العبادات لا ندري كيفيتها وقدرها، ولا نحيط بأحكامها الفرعية، فإن الأحكام الفرعية المتعلقة بأصول العبادات يقع فيها اختلاف بين رسالة ورسالة من رسالات الله تعالى مع وحدة الأصول في العبادات والمعاملات والأخلاق على ما بينا ذلك في موضعه.

ولقد أخبر القرآن الكريم أن الصلاة في شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت ذات

ركوع وسجود، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقد فرض الله تعالى على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى قومه فريضة الصيام، وقد أخبر القرآن العظيم أن الله تعالى فرض الصيام على جميع الرسل وجميع الأمم يقول سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وحينما واعد الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أن يذهب للقائه، وأنعم الله تعالى على موسى في هذا اللقاء فكلمه تكليمًا، وأنزل عليه الألواح مكتوبًا فيها الأحكام والشرائع جملة واحدة، طلب الله سبحانه من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُعِدَّ نفسه لهذا اللقاء الرباني بالصيام أيامًا، حتى تصفوَ نفسُه، وتسموَ روحُه، ويكون على حال مؤهلة لذلك اللقاء العظيم مع ما فيه من تجليات وفيوضات.

يقول ﷻ:

﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الأحكام والحدود

لقد ذكر القرآن العظيم صورًا من الأحكام والحدود مما فرضه الله تعالى في شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقد شرع الله لموسى وقومه القصاص في النفس، وفي أبعاضها، يقول ﷻ:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

والآية الكريمة تناولت بالنسبة للجناية على النفس وأبعاضها حكمين:

الحكم الأول: القصاص. **والحكم الثاني**: العفو.

وفي الآية ردٌّ على بعض الذين زعموا أن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يشرع فيها العفو، فقد زعموا أن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءت بالقصاص فقط، وشريعة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءت بالعفو فقط، وشريعة محمد- عليه الصلاة والسلام- جمعت بين ما ورد في الشريعتين- أي: القصاص والعفو- والحق الذي لا ريب فيه أن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد جاءت بالقصاص والعفو جميعًا، والآية نص قاطع في ذلك لا يحتمل تأويلًا.

وقد حرَّم الله تعالى قتل النفس إلا في حالتين فقط:

١- الاعتداء على النفس، فيكون القصاص. ٢- الفساد في الأرض.

يقول تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣٢].

صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

في المعاملات والآداب

وقد ذكر القرآن الكريم صورًا كثيرة من المعاملات والأخلاق في الشريعة الموسوية.

من ذلك: قول الله تعالى- مخاطبًا بني إسرائيل-:

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

ومن ذلك: قول الله سبحانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

الجهاد فريضة في سبيل الله:

يذكر القرآن العظيم أن الله ﷻ قد فرض الجهاد على بني إسرائيل في سبيل الله، ولكن بني إسرائيل جبنوا عن الجهاد في سبيل الله، ونكصوا على أعقابهم، ولم يستجب منهم إلا قلة.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم واقعتين من الوقائع التي تدل على جبن اليهود عن الجهاد في سبيل الله، رغم أن كلتا الواقعتين كانتا تنفيذًا لرغبة أبداها اليهود أنفسهم.

الواقعة الأولى: عندما خرج اليهود من مصر إلى أرض سيناء، وأنزل الله عليهم المن والسلوى، وأفاض عليهم الماء من الصخر، ولكنهم اشتاقوا للطعام الذي كانوا يأكلونه قبل خروجهم منها، فقال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا أردتم طعامًا مثل هذا فادخلوا أرضًا تنبت هذه الأطعمة، ثم فرض الله عليهم أن يدخلوا أرض فلسطين، وهي أرض تجود بمثل الأطعمة التي أرادوها، ولكنهم جبنوا ونكصوا عن الجهاد في سبيل الله.

يقول تعالى- مخاطبًا بني إسرائيل-:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٦١].

وعندما فرض الله عليهم دخول الأرض المقدسة، رفضوا وجبنوا.

يقول الله تعالى- على لسان موسى مخاطبًا اليهود-:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢١- ٢٤].

الواقعة الثانية: وأما الواقعة الثانية فكانت بناءً على طلبهم- أيضًا- فلقد ذهبوا إلى نبي من أنبيائهم، وطلبوا منه أن يجعل لهم ملكًا يقودهم في جهادهم وحروبهم، فلما أقام الله عليهم طالوت ملكًا وكتب عليهم الجهاد جبنوا وعصوا أمر الله.

وتقول في هذه الواقعة توراة يهود: «وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاةً لإسرائيل، و كان اسم ابنه البكر يوئيل واسم ثانيه ابيا، كانا قاضيَيْنِ في بئر سبع، و لم يسلك ابناه في طريقِه، بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوةً وعَوَّجَا القضاءَ، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرَّامة، وقالوا له: هو ذا أنت قد شِخْتَ وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا مَلِكًا يقضي لنا كسائر الشعوب، فسمع صموئيل كلَّ كلام الشعب وتكلم به في أُذُنَيِ الرَّبِّ، فقال الربُّ لصموئيل: اسمع لصوتهم ومَلِّكْ عليهم مَلِكًا ... [1]».

يقول ﷻ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

---

(١) صموئيل الأول ٨: ١- ٢٢.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

اليهودية الدين الباطل
في التوراة المحرَّفة

- المبحث الأول: الذات الإلهية.
- المبحث الثاني: المناصب الدينية.
- المبحث الثالث: اليوم الآخر وموقف الفرق اليهودية منه.
- المبحث الرابع: الفرق اليهودية .
- المبحث الخامس: الشعب المختار.
- المبحث السادس: المصادر اليهودية.

المبحث الأول

الذات الإلهية

أسماء الذات

يطلق على الذات الإلهية عند بني إسرائيل أسماء متعددة وهي: إلوهيم- إيل- يهوا.

وكل هذه الأسماء استعملت علمًا على الذات الإلهية عند بني إسرائيل، غير أن أشهرها «يهوا»، وأما «إلوهيم» فقد ورد عن بني إسرائيل استعماله، ووردت نسخة من نسخ التوراة بهذا الاسم؛ لأنه الاسم الذي يطلق على الإله.

يقول الأستاذ العقاد:

«سميت نسخة إلوهيم بهذا الاسم؛ لأن «إلوهيم» هي الكلمة التي تطلق فيها على الإله» [1].

ويبدو أن هذه التسمية هي أقرب التسميات إلى اللغة العربية، ومن المعروف: أن اللغة العربية والعبرية تلتقيان معًا في أصول واحدة، ولو أننا حذفنا آخر الكلمة- الياء والميم- فستبقى معنا كلمة «إله» العربية مع نقل المدة إلى الألف من الواو.

ولكن من المعلوم أن الياء والميم في اللغة العبرية تعني الجمع، إذن فكلمة «إلوهيم» تعني عندهم: «إلهنا» ولا تعني كلمة «الله»، فليست من أسمائه سبحانه.

---

(١) أبو الأنبياء، عباس العقاد (ص٣٤).

وأما لفظة «إيل» فقد ورد استعمالها قبل بعثة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان «إيل» هو اسم الإله في فترة ما قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإليه ينسب كثير من أسمائهم الشخصية والمكانية، ومن الأسماء الشخصية عندهم المنسوبة إلى هذا الاسم: إسماعيل، إسرائيل، بتوئيل.

وفي **سفر التكوين** توضيح لهذه النسبة، فحين هربت هاجر من وجه سارة وهي حبلى في إسماعيل قابلها ملاك الرب، «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك» (١).

وحينئذٍ تنسب هاجر اسم المكان إلى اسم الله، فتسمى المكان باسم «إيلُ رُئِي»؛ لأنها رأت الرب في هذا المكان» (٢).

وأما لفظة «يهوا» فهي لفظة قديمة كانت مهملة قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فأحياها موسى بدعوته وتمسك بها عَلَمًا على الذات الإلهية، وأهمل ما عداها.

ولأن هذا الاسم هو العَلَم على الذات الإلهية بعد ذلك، فقد حاول كثير من المفكرين أن يجدوا لهذا الاسم- أو لهذه التسمية- تعليلًا، فيذهب بعض الباحثين إلى أن اسم يهوا، لا يعرف اشتقاقه على التحقيق، فيصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أي: «يا هو»؛ لأن موسى علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكر الرب توقيرًا له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه.

ويذهب آخرون على أن هناك احتمالًا لاتجاه آخر، هو أن الكلمة العبرانية المماثلة لكلمة «لورد» أي: سيد هي «يهوا» وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م، ثم دخلت هذه الحروف فأصبحت كلمة «يهوا» «ياهوفا» ومعناها: «سيد، أو إله».

---

(١) سفر التكوين، ١٦: ١٠.

(٢) سفر التكوين، ١٦: ١٣.

حقيقة الذات

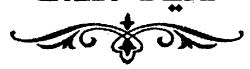

الذات الإلهية عند اليهود لا ترتفع كثيرًا على مستوى البشرية في شكلها، أو مضمونها.

وهذه حقيقة تتضح لكل من يطلع على كتبهم ومصادرهم الدينية وأخصها التوراة المحرَّفة.

فالذات الإلهية تتشكل بأشكال الآدميين، وتنزل إلى هذا العالم، والإله يجالس الناس ويؤاكلهم ويشاربهم، ويمشي على رجليه حتى يتعب من المشي، ويجلس ليستريح في ظل شجرة.

تحكي التوراة اليهودية أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى الرب ومعه ملكان فاستضافهم وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم، ثم رحلوا من عنده.

يقول سفر التكوين:

«وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فتأخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم ثم تجتازون؛ لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا: هكذا نفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة، وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقًا سميذًا، اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلًا رخصًا وجيدًا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبدًا ولبنًا، والعجل الذي عمله، ووضعها قُدَّامهم، وإذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا» [1].

---

(١) سفر التكوين، ١٨: ١- ٨.

وقد يتصارع الإله مع الإنسان فيغلبه الإنسان، وعندما يريد الإله أن يفك نفسه من الإنسان لا يستطيع حتى يتوسل إليه ليطلقه، وهذا ما حدث على ما تحكيه التوراة المحرَّفة؛ إذ نزل الإله فصارع يعقوب حتى الفجر، ولم يستطع الفكاك منه حتى توسل إليه.

يقول سفر التكوين:

«فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه، فانخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني؛ لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعدُ يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله والناس قدرت، وسأل يعقوبُ وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي، وباركه هناك، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلًا: لأني نظرت الله وجهًا لوجه»[1].

والإله يغضب ويتهور وفي أثناء غضبه يرتكب من الحماقات التي يندم عليها حين يثوب إلى رشده ويذهب عنه الغضب.

وقد يعزم الإله في حمو غضبه على أمور لا تليق، فَيُذكِّره بها غيره، وحينئذٍ يرجع الإله عن عزمه ويندم ويتوب.

وفي التوراة يغضب الإله ويثور، ويعزم على أن يهلك شعب إسرائيل، ولكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يلومه ويُذكِّره بعهده مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي نسيه، وحينئذٍ يتذكر الرب أنه عاهد إبراهيم على الإبقاء على الشعب اليهودي فيندم الرب ويتوب.

تقول التوراة: إن الله غضب على بني إسرائيل فنوى على إيذائهم وقال لموسى نبيه: «اتركني ليحمى غضبي عليهم وأُفنيهم».

ويقول موسى للرب: «ارجع عن حُمُوِّ غضبك، واندم على الشر الذي أردته بشعبك».

---

(١) سفر التكوين، إصحاح ٣٢: ٢٤-٢٩.

ويُذَكِّر موسى ربَّه بوعوده السابقة التي نسيها، ويقول له: «اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفتَ لهم بنفسك».

وهنا يتذكر الإله عهوده وأيمانه ويرجع عن غضبه، فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعله بشعبه.

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي ندم فيها الرب، فالتوراة مليئة بذلك.

وفي سفر صموئيل الأول:

«وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلًا: ندمتُ على أني قد جعلتُ شاول ملكًا؛ لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي» [1]، فالرب ندم على أنه ملك شاول على إسرائيل.

وبالجملة فالإسرائيليون يعتقدون في الإله المجسد، ولم يستطيعوا أبدًا أن يهضموا عقيدة الإله المجرد- كما سيأتي توضيحه في فصل آخر- وإنما ارتبطت فكرة الإله عندهم بصورة الإنسان بكل ما تحويه هذه الصورة من نقائص وأخطاء.

يقول ول ديورانت:

«... ذلك أن هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء؛ وشاهد ذلك أنه يطلب من اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة؛ لئلَّا يهلك أبناءهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين.

كذلك لا يرى أنه معصوم من الخطأ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان؛ ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكًا، وتراه من حين إلى حين شرهًا، غضوبًا، متعطشًا للدماء، متقلبَ الأطوار، نزقًا نكدًا... وضميره- أي: الإله- لا يقل مرونة عن ضمير الأسقف الذي يندفع في تيار السياسة، وهو كثير الكلام... وقصارى

---

(١) سفر صموئيل الأول، إصحاح ١٥: ١٠-١١.

القول أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا»[1].

وبسبب نزعة التجسيد هذه لم يقنع اليهود بعبادة الله الواحد المجرد عن المادة؛ ولذا فقد طلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل لهم أصنامًا آلهةً، ثم صنعوا هم لأنفسهم عجلًا عبدوه، ثم طلبوا منه أن يريهم اللهَ جهرةً حتى يستطيعوا إرضاء نزعة التجسيد والنزعة المادية عندهم، وهم على مدى تاريخهم لم يتنزهوا إطلاقًا عن عبادة الأوثان.

وهذا يفسر لنا كثرة ظهور الأنبياء بينهم لمحاولة إعادتهم إلى طريق الله الذي دأبوا على تَنَكُّبِهِ، والانحراف إلى السبل التي تفرقت بهم عن سبيله.

فنزعة التجسيد كامنة في أعماق اليهود منذ كانوا في مصر، وأُشربوا أوثانها وخضعوا لآلهتها المادية المجسدة في حجارة، أو لحم ودم.

ولعل هذا يوضح لنا تعلُّقَ اليهود الغريب بالهيكل والأرض الموعودة، فهم شعب مادي يرتبط بالتجسيد والمادة، ولقد ظلوا طويلًا يتشوفون إلى هذا الإله الذي يتجسد أمامهم فيحسونه ويلمسونه، حتى بنى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الهيكل، فابتدأ عهد جديد بالنسبة لليهود والعقيدة اليهودية، فلقد وجد اليهود في الهيكل الرب المنظور، والإله المجسد، الذي يرونه في كل لحظة ويتحسسونه في كل آن، وجدوا فيه الأصنام التي تمنوها على موسى، والعجل الذي صنعه لهم السامري، ومنذ ذلك الحين حصروا إلههم ومعبودهم في هذا الهيكل، في حجارته، في قطعة الأرض التي تضم هذا الهيكل، أو هذا الإله الجديد، ومنذ بناء الهيكل، فلقد ذهب الإله الحق وجاء الهيكل.

وهذا التقديس العجيب لم يأتِ عن فهم واقعي لحقيقة الهيكل وحقيقة الإله، والفرق الكبير بين الاثنين، وإنما نشأ عن عقيد الوثنية، وجذور الصنمية، التي تضرب في أعماقهم، والتي لم يتخلصوا منها لحظة واحدة طوال تاريخهم المخزي.

---

(١) قصة الحضارة (٢/ ٨٥).

علاقة اليهود بالإله

علاقة اليهود بالإله علاقة شاذة وغريبة لم يألفها المتدينون من قبل، أو من بعد، فاليهود يعتقدون أن لهم بالله صلة خاصة بهم وحدهم دون العالمين.

هذه الصلة تقوم على أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأن الله هو إلههم فقط، وأنه اختارهم عبادًا له من دون العالمين.

وذلك تفكير شاذ ونزعة عجيبة ومعقدة، ولكنهم تمسكوا بها وجعلوها أساسًا لعقيدتهم في الله، ونظرتهم إلى الناس وأنفسهم، ولقد مرت عقيدة اليهود هذه بدورين أساسيين:

الدور الأول: ما قبل حادثة السبي، وفي هذا الدور كانوا يعتقدون أن الله يتدخل في شئونهم رأسًا ويرعاها ويتولاها بنفسه، سواء في ذلك الصغير منها والكبير، فالإله يرسم لها أماكن هجرتهم، ويوضح لهم الأماكن التي يجب أن يتحاشوها، ويرسم لهم خططهم الحربية ويقودهم فيها بنفسه، ويبين لهم كيفية التصرف في الأسرى، ويرسم لهم المدن وطرق بنائها وتنظيمها... إلخ.

وبالاختصار كان الإله هو الزعيم لهم بكل شيء، وهم كالطفل المدلل لا يفعل شيئًا ولا يقوم بشيء، والمطالع للتوراة التي كتبوها يرى فيها كثرة ظهور الرب لإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وكيف كان يتعهد لهم بكل صغيرة وكبيرة.

الدور الثاني: ما بعد حادثة السبي، فلقد ظل اعتقاد اليهود في الإله على هذه

الشاكلة حتى وقعت بهم حادثة السبي حين حاربهم بختنصر (نبوخذ نصر) وهزمهم وهدم أورشليم، وأحرق هيكلهم، ودمرهم تدميرًا، وقتل منهم عشرات الألوف، ثم حمل من بقي منهم أسرى إلى مدينة بابل، وذلك عام ٥٨٦ ق.م.

في هذه الحادثة التي هزت اليهود هزًّا عنيفًا وشردتهم وأوقعت بهم من البلاء ما لم يخطر ببالٍ، انتظر اليهود- حسب اعتقادهم- أن يتدخل الإله لكي يؤدي دوره- حسب ما كانوا يعتقدون ويؤملون- ولكن الإله لم يتدخل ولم يفعل شيئًا على الإطلاق، بل تركهم تحت رحمة الذلة والأسر دائمًا، وحد السيف بين الحين والآخر، وانتظروا وطال انتظارهم، وبدأت عقيدتهم في الإله المنقذ تتحول، واعتقدوا أن الإله لم يعد يتدخل في شئونهم، كما كان يفعل من قبل، وأن الإله قد ضرب من حوله حصارًا وتركهم لأنفسهم، وأن الاتصال بهذا الإله أصبح أمرًا بعيد المنال، ومن هذا المنزع تغيرت نظرتهم إلى الإله قليلًا قليلًا، فابتدأت تسمو شيئًا فشيئًا، فاعتقدوا أولًا في سمو الإله سموًّا يبعد به عن إدراك البشر، ثم ذهبوا في السمو إلى آخر درجاته فاعتقدوا أن الاتصال بالإله مباشرة أمر محال، وأنه من لوازم السمو ألَّا يتصل الإنسان به مباشرة.

ومن هنا اخترعوا فكرة الواسطة بين الله والناس، ولقد كان اليهود يعبرون عن هذه الواسطة بالحكمة أحيانًا، ويعبرون عنها بالسماء تارة أخرى، ثم آل بهم الأمر أخيرًا إلى أن حصروا الواسطة في الكهانة والكهان.

ومن الواضح: أن اليهود يعنون بالشكل، وليس بالمضمون، فهم يعبرون عن الإله بضمير الغائب، ويعبرون عنه أحيانًا بالسماء، **كما في سفر المكابيين**، ويجعلون الحكمة واسطة بينه وبين الناس والكهان، كذلك لسموه وعلوه، ولكن هذه أمور

لا تحجب عن أعيننا الحقيقة السافرة، وهي أن الإله عندهم متصف بكل النقائص البشرية- كما أوضحنا من قبل- فهو متهور، غضوب، يفعل الخطأ ثم يندم عليه، ناكث للعهود ناقض للمواثيق... إلخ.

ولقد ابتدأ أمر الوساطة بين الله والناس عند اليهود تنزيهًا للإله وتساميًا به عن الاتصال بالبشر، ثم انتهى الأمر بهذه الوساطة أن أنستهم الإلهَ جملةً، وحولت الأحبار إلى آلهة في الحقيقة والواقع.

فعندما انقطعت صلتهم بالله، ولم يعد الإله يظهر لهم كعقيدتهم، اعتقدوا أن البحث في الشريعة والتمسك بالناموس هو الطريق الوحيد لوصلهم بالإله ومعرفة مراده منهم، ولأن الكهان والكتبة هم المختصون بالشريعة والناموس فلقد ابتدأ نجمهم يظهر ويرتفع، وابتدأ الناس ينظرون إليهم نظرة تقديس وإجلال، وأصبحت كلمة الكاهن هي كلمة الله، وأصبح له الحق المطلق في تفسير نصوص الشريعة دون أن يجرؤ أحد على اتهامه بالخطأ، حتى انتهى الأمر إلى مثل هذه العبارة التي تُصَوِّرُ لنا مكانة الأحبار عند اليهود، والتي يوجهها التلمود إلى اليهود، **يقول التلمود:** «إذا قال لك الكاهن: إن يدك اليمني هي اليسرى، وبالعكس فحاذر أن تشك في كلامه، واعلم يقينًا أن كلامه هو الحق الذي لا ريب فيه».

وهكذا استبدل اليهود الهيكل بالذات الإلهية، ثم أقاموا الكهان مشرِّعين حقيقيين وناطقين باسم الإله الجديد (الهيكل)، وبين هذا وذاك اضمحل وجود الذات الإلهية حتى أضحى كلا وجود.

المبحث الثاني

المناصب الدينية

الآباء، أو البطاركة

يُطلِق اليهود هذا الاصطلاح ويريدون به هؤلاء الذين عاشوا في الدهور السابقة، واشتهروا بصلاحهم وطول أعمارهم، مثل: آدم، وشيث، ونوح، وبنيه، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وأولاد، عليهم السلام.

وهؤلاء هم الذين يُطلِق عليهم اليهود الآباء، أو البطاركة، ومكانة هؤلاء في نفوس اليهود هي أسمى المكانات وأرفعها، واليهود ينظرون إليهم على أنهم أنبياء وأمراء وكهنة في نفس الوقت، فكانت تجتمع في كل منهم صفة الأمير والنبي والكاهن جميعًا، وهؤلاء هم القدوة والأسوة لليهودي في تصرفاته وأخلاقه وسلوكه.

الأنبياء

يعتقد اليهود أن الأنبياء بشر صالحون جعلهم الله سفراء بينه وبين شعبه؛ ليبلغوه بمراد الله، وليُقِيموه على طريقه إن زاغ، ويُقَوِّموه إن اعوجَّ.

وقد قام هؤلاء الأنبياء- واحدًا بعد الآخر- على مدى يقرب من ألف عام، يبتدئ بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وينتهي بملاخي، أما من كان قبل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أمثال إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فاليهود يسمونهم بالآباء، أو البطاركة- كما ذكرنا قبل قليل.

واليهود يقسمون الأنبياء إلى فريقين:

الأنبياء الكبار: من أمثال: صموئيل، وأشعيا، وأرميا، وحزقيال، ودانيئال.

والأنبياء الصغار، أو الأنبياء فقط: من أمثال: هوشع، وعاموس، وعوبديا، ويونان، والأسفار المقدسة في التوراة تُنسب إلى هؤلاء الأنبياء، ويسمى كل سفر باسم نبي من هؤلاء، وهم يزعمون أن كل نبي كتب سفره هذا، ولكن ذلك محض افتراء، فالأسفار كتبها أناس آخرون، ثم نسبوها إلى الأنبياء لإشاعتها وإذاعتها، ومن هذه الأسفار ما ليس له حقيقة على الإطلاق، مثل: سفر «يهوديت».

وكلمة نبي واسعة المدلول في عرف اليهود، فهي لا تقتصر على هؤلاء الصالحين الأتقياء الذين ندبهم الله تعالى للإصلاح، ولكنها تشمل كثيرين من الأدعياء الذين كان منهم: الساحر والمنجم والعراف والمنافق والدعي... إلخ.

يقول ول ديورانت:

«لم يكن أولئك الذين أُطلق عليهم هذا اللفظ العبري (نبي) أول الأمر من طبقة عاموس وإشعيا الجديرة باحترامنا؛ بل كان بعضهم من المتنبئين الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس وماضيهم ويخبرونهم بمستقبلهم حسبما يتقاضون منهم من أجور.

ومنهم: متعصبون متهوسون يستثيرون مشاعرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة، أو المشروبات القوية، أو الرقص الشبيه برقص الدراويش، وينطقون في أثناء غيبوبتهم بعبارات يراها أصحابهم وحيًا أُوحي إليهم.

وقد سخر إرميا من كل رجل مجنون ومتنبئ، وكان منهم: من هو ناسك نكد كإيليا، ومنهم: كثيرون يعيشون في مدارس، أو أديرة مجاورة للهياكل، ولكن معظمهم كانت لهم أملاك خاصة وزوجات»[1].

موقف اليهود من أنبيائهم:

أما موقف اليهود من أنبيائهم فهو موقف غريب وعجيب، وإذا أردنا أن نلمس ذلك الموقف ففي وسعنا أن نأخذ بعض الأنبياء الذين ذكرتهم توراتهم المحرَّفة، وذكرهم القرآن الكريم، لنضع مقارنة بين الأسلوب الحكيم للقرآن في الحديث عن هؤلاء الأنبياء، وبين التُّرَّهات الباطلة، والدعاوَى الوضيعة التي ترددها كتبهم الكاذبة عن هؤلاء الأنبياء.

وقد ذكر القرآن الكريم داود وسليمان- عليهما السلام-، وشرح من أمورهما ما يسمح لنا بالمقارنة بين أسلوب القرآن الصادق، وأسلوب التوراة المفترَى.

---

(١) قصة الحضارة (٢/ ٣٤٩).

فالكتاب العزيز يتكلم عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فيصفه بأنه أُوتي من المعجزات والخصائص ما لم يُؤْتَهُ غيره، وبأنه توَّاب، وبأن ربه أسبغ عليه النعم ظاهرة وباطنة، يقول الكتاب العزيز:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠- ١١].

ويقول تبارك وتعالى:

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ١٧- ٢٠].

ويقول الكتاب العزيز- عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ-:

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢].

ويقول تعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

ويقول ﷻ:

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٣٤- ٤٠].

هذا حديث القرآن الكريم عن داود وسليمان عليهما السلام.

فماذا عن حديث التوراة المحرَّفة عن هذين النبيين الكريمين.

تذكر التوراة المحرَّفة عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يترفع عنه الإنسان العادي، فضلًا عن النبي، فتحكي عنه قصة تشمئز منها النفوس، خلاصتها: أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يتنزه فوق سطح بيته، فرأى امرأة جميلة تستحم فأُعجب بها، ولما عرف في الصباح أن زوجها جندي في ميدان القتال أرسل فأتى بها، وزنى بها، وحملت منه، ولكي يواري خطيئته بعث فأتى بزوجها لكي يختلطَ بها فيلحق حملها به، ولما لم يخالطها زوجُها أرسل إلى قائد الجيش سرًّا بأن يضعَ هذا الزوج في مقدمة الجيش حتى يُقتلَ، وعندما قُتِلَ ضمَّ داود المرأة إلى أزواجه، وكانت نتيجة ذلك الحمل الذي وقع سفاحًا هو سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فانظر إلى هذه الخطايا القبيحة المقزِّزة التي تُلصِقها التوراة المحرَّفة بنبي الله داود: الزنى، التدليس لإلحاق ابنه برجل آخر زورًا، القتل العمد.

وأما عن سليمان فتذكر عنه التوراة صراحة أنه في أخريات زمانه عند شيخوخته أشرك بالله، وعبد الأصنام، ثم مات على ذلك.

ومن هذين المثالين نستطيع أن ندرك بقية الأمثلة، وأن نعرف موقف اليهود من أنبيائهم، ذلك الموقف الذي وصل في أحايين كثيرة إلى امتداد أيديهم إلى أنبيائهم بالقتل.

ومن الأنبياء الذين قتلوا على أيديهم:

١- أشعيا بن آموص، الذي عاش في منتصف القرن الثامن ق.م، قتله «منسى»

ملك اليهود، بأن أمر بنشره نشرًا فوق جذع شجرة عام ٧٠٠ ق.م؛ لأنه أمره بترك سيئاتٍ كان يرتكبها.

٢- النبي «أرميا» قتلوه رميًا بالحجارة؛ لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات أعمالهم، وكان ذلك في أواسط القرن السابع قبل الميلاد.

٣- وقتلوا النبي «زكريا» عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه حاول الدفاع عن ابنه يحيى، قتله هيرودس ملك اليهود مِن قِبل الرومان.

٤- وقتلوا النبي يحيى «يوحنا المعمدان» قتله هيرودس؛ لأن ابنة أخته غضبت على يحيى؛ لأنه لم يصدر فتوى بجواز زواجها من هيرودس.

٥- وقتلوا النبي «حزقيال» قتله قاضٍ من قضاتهم؛ لأنه نهاه عن منكرات ارتكبها.

٦- وزعموا أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويفتخرون بذلك.

٧- وحاولوا قتل رسول الله ﷺ لولا أن عصمه الله من كيدهم، وأنجاه من شرورهم.

هذا موقف اليهود من أنبيائهم، وهو موقف لا يُستغرب من قوم يخلعون على الإله نفسه أخسَّ الصفات البشرية.

الكهنة

كانت وظيفة الكاهن هي تقدمة الذبائح، وتوضيح الشريعة، والقيام بالطقوس الدينية في المعابد والهيكل، ولقد كانت الكهانة قبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مباحة لأفراد الشعب، فكان كل فرد من الشعب يستطيع أن يقدم قربانه بنفسه وبخاصة من الإخوة والآباء والأمراء، أما بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أصبحت الكهانة ميراثًا اختص به أبناء هارون فقط لا يشاركهم فيها غيرهم من الأسباط الأخرى.

وكان الأحبار على ثلاث درجات:

الأولى: مرتبة عظماء الأحبار، وكانت تختص بالبكر إذا كان خاليًا من العيوب البدنية صغيرها وكبيرها.

الثانية: الأحبار، وهم من آل هارون، وكانوا يوضحون للعامة الشعائر الدينية، ويقومون بالخدمة اليومية في الهيكل والمعابد.

الثالثة: اللاويون، وهؤلاء كانوا في مرتبة المساعدين للأحبار، وكان اللاويون يتفرقون في البلاد يوضحون الشريعة، ويعلمون أفراد الشعب كيفية أدائها.

وواضح أن الحياة الدينية عند بني إسرائيل كانت تحت إشراف وبرعاية فريقين من الناس: الأنبياء، والأحبار، ولكن ما أبعد الفرق بين الطائفتين على رغم ما قد يبدو من وحدة الوسيلة والهدف عند الفريقين.

وهذه أهم الفروق بين الطائفتين:

١ - الأنبياء بعيدون عن المعابد، وعن الخطط الرسمية، وعن التقاليد الدينية، أما

الأحبار فهذه كلها أساسيات عندهم.

٢- كانت مهمة الأنبياء التنديد بالملوك ومهاجمة الأغنياء والحكام، ولكن الأحبار عملهم يقوم على تملُّق هؤلاء ومسايرتهم.

٣- كان ظهور الأنبياء رهنًا بالأزمات والشدائد والانحرافات، أما الأحبار فموجودون على الدوام.

٤- الأنبياء لم يكن أحد يُعَيِّنهم، أو يوظفهم، بخلاف الأحبار.

٥- لم يكن الأنبياء من سبط بعينه، بخلاف الأحبار المرتبطين إلى سبط لاوي.

٦- لم يكن للأنبياء تقاليد ولا مراسم ولا تعاليم يَمُرُّون بها ليصبحوا أنبياء بخلاف الأحبار.

٧- كانت المعارك تدور كثيرًا بين الأنبياء الأحبار؛ إذ كان الأنبياء دائمًا يهاجمونهم ويُعَرُّونهم من ثيابهم الزائفة.

٨- ونحن لا نُغفل أمرًا هامًّا في العلاقة بين الأنبياء والأحبار، فالأحبار على الحقيقة وراء كل ثورة ضد الأنبياء، وإذا كان هناك أنبياء قتلهم اليهود؛ فإن الأحبار كان لهم الدور الأساسي في قتل الأنبياء، والجرائم التي ارتُكِبت ضدهم على اختلافها.

المبحث الثالث

اليوم الآخر وموقف الفرق اليهودية منه

اختلفت أنظار اليهود بالنسبة إلى اليوم الآخر تبعًا لاختلاف فِرَقِهم، فمنهم: فِرَقٌ لا تؤمن بالقيامة ولا باليوم الآخر، وما فيه من: ثواب وعقاب وجزاء وجنة ونار، وتنكر الجنَّ والملائكة والشياطين، مثل: فرقة «الصدوقيين» الذين يؤمنون بأن الثواب والعقاب إنما هو قصر على هذه الحياة، وأنه لا حياةَ بعد ذلك، وإلى جانب هذه الطائفة الكبيرة التي تنكر اليوم الآخر كانت هناك طوائف تؤمن بالثواب والعقاب في حياة أخرى غير هذه الحياة، أي: أنها كانت تؤمن باليوم الآخر، ولكن اليوم الآخر في فهمها كان يحوطه كثير من الغموض والإبهام بحيث يذهب بالمعنى الكبير الكامن وراء الإيمان بذلك اليوم، وبحيث يجوز لنا أن نُسلكهم هم الآخرين مع الطائفة السابقة في سلك منكري ذلك اليوم.

يقول الأستاذ العقاد:

«ففي عصر الميلاد كانت طائفة كبيرة من اليهود- وهي طائفة الصدوقيين- تنكر القيامة بعد الموت، ولا ترى في الكتب الخمسة دليلًا واضحًا عليها، وكانت الطوائف الأخرى تؤمن بالثواب والعقاب على الجملة، ولكنها لا تتوسع في

وصفهما، ولا ترجع في هذا الوصف إلى سند متفق عليه، وكانوا إذا وصفوا سوء المصير عبَّروا عنه بالذهاب إلى الهاوية «شيول»، وإذا وصفوا الرضوان قالوا عن الميت: إنه انضم إلى قومه، أو اجتمع بقومه، وفي أذهانهم صورة غامضة عن وجود هؤلاء القوم في عالم غير الحياة الدنيا» [١].

وربما أدَّى بهم هذا الغموض- الذي يحيط باليوم الآخر وما فيه عندهم- إلى الاعتقاد بأن المراد بالحياة الأخرى هو ما سيعقب ظهور المسيح المنتظر الذي كانوا يعتقدون في ظهوره، وما سيعقب ظهوره من انتصار اليهود التعساء على الأمم الأخرى، وربما نظروا إلى ذلك الانتصار على أنه هو الحياة الأخرى.

يقول جورج ستيمبسون:

«كان رجاء الحياة بعد الموت في أيام العهد القديم مقصورًا على البعث الذي سيعقب ظهور المسيح» [٢].

ولأن اليهود لم يكن عندهم عقيدة صحيحة عن اليوم الآخر، فقد خلت توراتهم المحرَّفة عن كل ما يتصل بهذا اليوم من حساب وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار، فالتوراة أهملت هذا الجانب تمامًا، وركزت- التركيزَ كلَّه- على هذه الحياة الدنيا، والمطالِع لهذه التوراة يرى الأمثلة واضحة وبينة على أن الحياة الدنيا هي كل شيء، وهي محل الثواب والعقاب على ما يرتكبه الإنسان من خير أو شر، فالأخيار يجازيهم الله بالثراء والغنى وطول العمر، وأما الأشرار فعاقبتهم الفقر وقصر العمر، وكل ما

---

(١) أبو الأنبياء (ص٥٠).

(٢) نقلًا عن كتاب أبي الأنبياء (ص٥٢).

تشتمل عليه التوراة من تبشير وإنذار ووعد أو وعيد إنما هو خاص بهذه الحياة.

والأمثلة على ذلك كثيرة، يقول سفر الأمثال:

«لأن المستقيمين يسكنون في الأرض والكاملين يبقون فيها، أما الأشرار فينقرضون من الأرض، والغادرون يُستأصلون منها» [١].

ويقول نفس السفر - أيضًا -:

«أبنيَّ لا تنس شريعتي، بل ليحفظ قلبك وصاياي؛ فإنها تزيدك طول أيام وسني حياة وسلامة» [٢].

وفي سفر الجامعة من التوراة المحرَّفة:

«لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة، وحادثة واحدة لهم، موت هذا كموت ذاك، ونسمة واحدة للكل، فليس للإنسان مزية على البهيمة؛ لأن كليهما باطل، يذهب كلاهما إلى مكان واحد، كان كلاهما من التراب، وإلى التراب يعود كلاهما، فرأيتُ أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله؛ لأنه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده، كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك؛ لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها» [٣].

وإهمال التوراة اليهودية لليوم الآخر وما فيه جعل الدين اليهودي أقرب إلى المذاهب الخلقية، أو المذاهب الفلسفية منه إلى الأديان.

---

(١) أمثال الإصحاح الثاني، الفقرات: (٢١ - ٢٢).

(٢) أمثال الإصحاح الثالث، الفقرات: (١ - ٢).

(٣) سفر الجامعة، إصحاح ٣: ١٨-٢٢.

فالأديان تقوم على أساس من الإيمان بالقيم الروحية، والإيمان باليوم الآخر وما فيه، وعندما خلا الدين اليهودي عن هذين الأساسين أصبح مسخًا مشوَّهًا بين الأديان؛ لأنه فقد أهم مقومات الدين.

وفي دائرة المعارف العبرية يقرر كوهلر:

«أن اليهودية ليست عقيدة، أو نظامًا من العقائد يتوقف على قبولها الفداء، أو الخلاص في المستقبل، ولكنها نظام للسلوك البشري، وناموس البر، الذي يتحتم على الإنسان اتباعه، ويقرر الفكر اليهودي- بناء على ذلك- أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسب الاعتقاد: (أشهد السموات والأرض على أن المرء سواء كان يهوديًّا أو وثنيًّا، رجلًا أو امرأةً، حرًّا أم مقيَّدًا؛ فإنه سينعم بالجزاء حسب أعماله دون سواها)» [1].

وخلوُّ الدينِ اليهوديِّ المحرَّفِ عن الإيمان باليوم الآخِرِ حقيقةٌ يؤكِّدها الباحثون اليهود أنفسهم، فليس ذلك ادعاءً منا، ولكنها الحقيقة التي يُقِرُّون هم بها على لسان مفكريهم.

يقول آرثر هرتزبرج:

«إن الكتاب نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الإنسان، وليس هناك بعد

---

(١) في الفكر اليهودي ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس-بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٥م (ص ٣١). وانظر، الأديان المعاصرة، لراشد عبد الله الفرحان، اصدرا: جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، (ص٢٩).

ذلك اعتقاد في بعثٍ وجنةٍ أو نارٍ» [١].

ويقول ول ديورانت:

«على أن اليهود قلَّما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورَينِ على الحياة الدنيا» [٢].

وإذا أضفنا إلى ذلك كلِّه سلوكَهم العمليَّ من: تكالُبِهِم على الدنيا، وحصرِهِم هَمَّهم في التجارةِ، وجمعِ الذهبِ، وتضحيتِهم في سبيل ذلك بالشرف والعرض والكرامة والقيم كلها، اتضح لنا صدق ما نقول.

(١) الفكرة الصهيونية: تحليل تاريخي ومختارات،(ترجمة لطفي العابد وموسى عنتر)، مكتبة المأمون، دمشق(ص٣٨)

(٢) قصة الحضارة (٢/ ٣٤٥).

المبحث الرابع
الفرق اليهودية

الفرقة الأولى: الفريسيون

هؤلاء أعظم الفرق وأكثرها عددًا وأقدمها وجودًا، وهذا الاسم الذي يطلق عليهم «فريسيون» لفظ عبري يدل على معنى الإفراز، أو الفرز وهو التمييز، ويقال: إنهم سُمُّوا بذلك؛ لأن هؤلاء القوم كانوا- حسب اعتقاد الجمهور- مفروزين عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة إليهم، وهناك رأي آخر يقول: إن هذه التسمية تعني: المنشقين، أو المعتزلة، وقد أطلقها عليهم أعداؤهم، وهم يكرهونها، ويسمون أنفسهم الربانيين.

وقد كان أصحاب هذه الفرقة يعتقدون أنها وحدها على حق، وغيرها على ضلال، وكانوا يزدرون الشعب ويتكبرون عليه، ولكن العامة كانوا يعتبرونهم قديسين حتى شاع القول: «بأنه لو ذهب إلى السماء شخصان فقط من كل العالم فلا بد أن يكون أحدهما فريسيًّا».

والفريسيون يعتقدون بقدم التوراة، وأن الأسفار الخمسة موجودة منذ الأزل، ويرون أن الشريعة اليهودية لا تقتصر على الأسفار الخمسة فقط وهي التي أُنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويرون أن بجانبها مصادر أخرى معتبرة، وهي

الشروح والتفاسير والمواعظ، وقد تناقلها الخامات جيلًا بعد جيل، وربما دونت خوفًا عليها من الضياع، ومن هذه التفاسير والشروح والمواعظ التي تناقلها الخامات تكوَّن ما يسمى «التلمود».

ويرى الفريسيون أن الحاخامات معصومون من الخطأ، وأن لهم الحق كل الحق في تفسير الشريعة كما يهوون، ويحرِّمون تكذيبهم، أو الاعتراض عليهم، ويعتقدون أن تفسيراتهم وآراءهم في الشريعة هي قول الله الحي؛ ولذلك يروى عنهم هذا القول المأثور: «إذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمني هي اليسرى وبالعكس فصدقه وحاذر أن تجادله» والفريسيون يحرِّمون الاجتهاد؛ ذلك أنه ما دام الحاخامات موجودين وما دام قولهم هو قول الله الحي فلا داعي للاجتهاد ولا مجال له، والفريسيون يؤمنون بالملائكة والجن والشياطين واليوم الآخر وما فيه.

الفرقة الثانية: الصدوقيون

يرى البعض أن هذه الفرقة سميت بهذا الاسم نسبة إلى «صادوق» الكاهن الأكبر على عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو إلى كاهن آخر عُرِفَ بهذا الاسم، ويرى آخرون أن ذلك غير صحيح؛ لأن الدال في التسمية مضعفة، وليست في المنسوب إليه كذلك، ولأن هذه الفرقة لم يُعرَف انتسابها إلى أحد بهذا الاسم، ويذكرون أن هذه التسمية من صنع أعداء هذه الفرقة، وأنها من نوع التسمية المضادة؛ لأن هذه الفرقة تنكر الحساب واليوم الآخر وما فيه من جنة ونار... إلخ، ومن هنا أطلق أعداؤها عليها هذه التسمية على سبيل السخرية والتهكم.

وهذه الفرقة تنكر اليوم الآخِر وما فيه، وترى أن الجزاء على العمل يلقاه الإنسان في هذه الحياة، وأن العمل الخيِّر يورث صاحبه الصحة والغنى والجاه في هذه الدنيا، وأن العمل الشرير يورث المصائب والأزمات، والصدوقيون ينكرون التعاليم الشفوية- التي هي التلمود- ولا يعترفون من أسفار التوراة إلا بالأسفار الخمسة التي أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحتى هذه لا يرون قدسيتها قدسية مطلقة، بل ينكرون منها أمورًا كثيرة.

الفرقة الثالثة: الكتبة

هذه الطبقة وجدت نظرًا لحاجة اليهود إلى من يفسر لهم الشريعة ويوضحها، وقد ابتدأ أمر الكتبة بنسخ التوراة والشريعة المقدسة لمن يريدها، وينالون على ذلك أجرهم، فهم أشبه بالنُّسَّاخ، وعن طريق صلتهم بالشريعة وكتابتها عَرفوا عنها بعض التعاليم، ومن هنا انتقلوا من مجرد الكتابة والنسخ، إلى الوعظ والتعليم، وكان الكتبة يسمون- أحيانًا- بالسادة، والحكماء، وكان الواحد منهم يلقب عند النداء بالأب.

وقد برز الكتبة عند ما جذب النفوذ السياسي الأحبار الفريسيين، فأخلوا المجال الديني للكتبة، وقد زاد من رفعة مكانتهم وإعلاء شأنهم أن عُنِيَ كثيرون منهم بإنشاء مدارسَ يكونون هم رعاةً لها ومعلِّمين بها، فأصبح لهم تلامذة ومريدون ينشرون تعاليمهم، وكان لهؤلاء الكتبة سلطان قوي على ضمائر الشعب، ولم يكن أحد يجرؤ على مناقشتهم في سلطتهم وفي طقوسهم الشرعية، وكانت لهم تعاليم بجانب الشريعة لها نفس قوة الشريعة وهي تعاليم التلمود فيما بعد؛ ذلك أنهم ادَّعوا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يترك شريعة مكتوبة فحسب، بل ترك شريعة شفوية بجوار الشريعة المكتوبة، وكانت للتعاليم الشفوية مكانة تضارع التعاليم المكتوبة.

وعن طريق التعاليم غير المكتوبة ضل اليهود كما ضلوا من قبل عن طريق التعاليم المكتوبة، بعد أن تناولتها يد التحريف والتغيير.

المبحث الخامس

الشعب المختار

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، اختارهم الله من بين خلقه من شعوب وأمم؛ ليكونوا عباده، وليكون هو إلهًا خاصًّا بهم، ويعتقد اليهود أن لهم بالله صلة خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس، وقد وضعوا لهذا الزعم المخبول سفرًا في توراتهم المحرَّفة لكي يؤكدوا هذا الزعم ويقووه ويغرسوه في نفوس الأجيال، ذلك هو **سفر التكوين**، الذي لا يملُّ فيه الإله من ترديد اختياره هذا الشعب بالذات شعبًا خاصًّا، وتفضيله إياه على سائر الأمم والشعوب، وإعطائه أرض الميعاد.

وهذا الوعد يصوره لنا سفر التكوين، فيقول:

«وقال الرب لأبرام- بعد أن اعتزل لوط عنه-: ارفع عينيك من المكان الذي أنت فيه، وانظر شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يَعُدَّ ترابَ الأرض فنسلك- أيضًا- يَعُدُّ»[1].

فهذان وعدان من الله لأبرام- إبراهيم-:

أولهما: إعطاؤه الأرض.

---

(١) سفر التكوين، إصحاح: ١٥.

وثانيهما: تكثير نسله.

وفي بعض الفقرات الأخرى من هذا السفر يضيف الله إلى هذين الوعدين وعدًا ثالثًا، وهو التفاف شعوب الأرض حول هذا الشعب؛ ليتباركوا به.

يقول سفر التكوين:

«وبنسلك تتبارك جميع الأرض».

هذه هي الوعود الثلاثة التي بنى عليها اليهود عقيدتهم في كونهم شعب الله المختار، وفي الأرض الموعودة، فقد وعدهم الله بأن يرثوا أرض فلسطين وما حولها. «من النيل إلى النهر الكبير نهر الفرات».

ووعدهم ثانيًا بتكثير النسل حتى يصيروا كنجوم السماء وتراب الأرض.

ووعدهم ثالثًا بالمكانة العزيزة بين الأمم، بحيث تتقرب منهم الشعوب وتتمسح فيهم، وتتلمس رضاهم، وتسعى إلى حبهم وودهم.

ونظرة يسيرة نعرف منها كذب هذا الزعم، أو هذه المزاعم.

فهذه المزاعم مرفوضة من ناحيتين:

أولًا: من ناحية المنطق والعقل.

وثانيًا: من ناحية الواقع والموضوع.

أما من ناحية المنطق والعقل؛ فإنهما يُحِيلان هذه المزاعم ويرفضانها من أساسها؛ ذلك أن الحق تبارك وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه علاقة خاصة، وإنما علاقة الله بالعباد تقوم على أساس معرفته وعبادته، من عرف الله وعبده ودان له وأطاعه كان قريبًا منه، ومن كان على عكس ذلك فهو بعيد عنه، هذه هي القاعدة التي تعم الناس أجمعين، سواء في ذلك بنو إسرائيل وغيرهم، وحاشا لله

أن يعامل الناس على أساس من الجنس، أو اللون.

وأما من ناحية الواقع؛ فإن التاريخ لم يسجل كذب دعوى بحروف واضحة على مدى الأجيال كما سجل كذب هذه الدعوى اليهودية بفروعها الثلاثة.

فأما من ناحية الوعد الأول- وهو الوعد بميراث الأرض من نهر النيل إلى النهر الكبير نهر الفرات- فالتاريخ يقرر أنهم لم يرثوا هذه الأرض في يوم من الأيام على مدى تاريخهم الذي يمتد إلى أربعة آلاف سنة.

وهذا دليل واضح على كذب دعواهم هذه، فليس من المقبول، أو المعقول أن يعدهم الله بهذه الأرض، ثم لا يحقق وعده إلا بعد أربعة آلاف سنة، والتاريخ يشهد كذلك أنهم لم يتسيدوا على قطعة من هذه الأرض، وليس الأرض الموعودة كلها إلا منذ ما لا يزيد على الخمسين عامًا، والأرض هي فلسطين، والخمسون عامًا هي مدة حكم طالوت، وداود وسليمان عليهم السلام.

وبقية تاريخهم الطويل إما مقيمون على هذه الأرض تحت حكم الدول المجاورة، وإما مشرَّدون مشتَّتون، وهذه المدة القصيرة التي تسيَّدوا فيها على هذه الأرض، أو هذه القطعة من الأرض لا تعد شيئًا مذكورًا في تاريخ الأمم والشعوب أو الدول والممالك، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تُعَدَّ تحقيقًا لوعد الله لشعب من الشعوب.

وأما وعد الله الذي تحقق بالنسبة إليهم فبدايته كانت التيه في الصحراء، ونهايته كانت التشرد والضياع، ونزولهم ضيوفًا أراذِلَ على جميع الممالك والدول، وشعب هذه بدايته، وذلك حاضره، لا يمكن أن تكون نهايته إلا على شيء من هذا القبيل، وبخاصة إذا ذكرنا وعد الله الحق الذي هو ضربة لازب عليهم:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

وقوله تعالى-إيعادًا لهم-:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف:١٦٧].

وأما بالنسبة للوعد الثاني- وهو الوعيد بتكثير النسل حتى لا يستطاع عده ولا حصره- فهذه كذبة كبرى تلحق بسابقتها، فليس في الأمم أمة اجتث الله جذورها، وبتر فروعها، وقضى عليها بقلة العدد كاليهود، وهم على مدى تاريخهم الطويل يحاولون بكل الوسائل أن يحققوا هذا الوعد المزعوم بتكثير نسلهم، وكلما كثر هذا النسل سلط الله عليهم من الأمم والشعوب من يقتل أبناءهم ونساءهم ورجالهم، ويستأصل شأفتهم، ويقضي عليهم، ولو كان حقًّا ما زعموه لكان أبسط الأمور وأقرب السبل أن يمنع الله عنهم هذه المذابح والمجازر التي ظلت الأمم على مدى تاريخ اليهود تقيمها لهم، وتقدمهم قربانًا على مذابح طباعهم الخبيثة، وأخلاقهم الوضيعة، ونياتهم السوداء، ولعل التاريخ لا يذكر لنا أمة من الأمم ظلت أربعة آلاف سنة، وما زال عددها في تناقص مستمر لا يزيد على تعداد قبيلة من القبائل في أية أمة من الأمم، كما يذكر هذه الأمة العقيمة البتراء.

وأما عن الوعد الثالث الذي يزعم أن الأمم ستتبارك بهم، فهذه ثالثة الأثافي كما يقولون، ولقد ظلت أمم الأرض على اختلافها تتبارك بهذا الشعب اليهودي المختار، ولكن على طريقة لم تخطر ببال كاتب هذه التُّرَّهات، فلقد ظلت الأمم على مدى تاريخ اليهود تتبارك بهم بإقامة المذابح والمجازر لهم، وتقتيلهم وتشريدهم ونفيهم والتبري منهم، هذه هي وحدها الطريقة التي يذكرها التاريخ والواقع لتبرُّكِ الأمم والشعوب بهذا الشعب، فيالها من بركة، أو تبرُّك.

ولو أنصف كاتب هذه التُّرَّهات لكتبها على عكس ذلك تمامًا.

فلو كتب أن الله سبحانه قد أوعدهم بتشريدهم في الأرض لا يملكون منها شيئًا، وببتر ذريتهم وتقليل عددهم، وبإذلالهم على يد جميع الشعوب، لكان ذلك هو الموافق تمامًا لما يسجله الواقع والتاريخ، والموافق كذلك لمسلمات العقل ومقتضيات المنطق.

وحسبنا أن ذلك هو الموافق تمامًا لوعد الله الحق الذي ذكره في كتابه العزيز:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ويلاحظ أن اضطهاد الشعوب لبني إسرائيل قد زاد من تمسك هؤلاء بالوعد المزعوم وإبرازه وتسليط الأضواء عليه، وكانوا كلما ازداد الاضطهاد النازل بهم من الشعوب الأخرى، ازداد تمسكهم بهذا الوعد كعزاء لهم عما هو واقع بهم، وحتى يخلقوا لهم أملًا في مستقبل مضيءٍ يخفف من حاضرهم المظلم.

ولقد اخترعوا من الأفكار ما يقوي هذا الزعم، ويثبت هذا الوعد، وكانت هذه الأفكار تتغير وتتشكل تبعًا للظروف المحيطة بهم.

فهم إن سادوا وعَزُّوا فما ذلك إلا لأنهم شعب الله المختار، وذلك تحقيق لوعده إياهم، وأما إن ذلُّوا وشُرِّدوا واضطُهِدُوا، فقد اخترعوا كذلك أفكارًا تتلاءم مع هذا الظرف، بحيث تُقوي هذا الزعمَ ولا تُضعفه، وبدلًا من أن يُقِرُّوا بأن اضطهادهم وتشريدهم دليل على كذب زعمهم، وضلال الوعد الذي يتمسكون به، بدلًا من ذلك، يخرجون بفلسفة تقول: إنهم شعب الله، ولأنهم كذلك فإن مسئوليتهم أكبر والتزامهم بالنسبة لإلههم أقوى وأثبت من بقية الشعوب؛ ولذلك فإن الله يعاقبهم على ما يقترفون

عقابًا أقسى وأشدَّ من عقابِهِ غيرَهم من الشعوب التي لا امتياز لهم، ولا علاقة لله بهم.

ولقد رَدَدْنَا على كذب مُدَّعَاهم سواء في المنطق والعقل، أو في الواقع والموضوع، على أننا لا نحب أن يسرع إلى الفهم أننا ننفي هذا الوعدَ جملةً، وإنما نحن نثبته ونتمسك به، فقط نريد تصحيح وضعِهِ وتصحيح النظرة إليه.

فالله سبحانه وعد خليله بأن يُكثِّرَ نسله، وأن يورثهم الأرض، وأن يُجري على أيديهم الخير للأمم كلِّها.

ولقد دخل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهاجر وأنجب منها إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي نشأ بمكة وصاهر جرهم، وكان من نسله العرب المستعربة، وعلى يد نسل إبراهيم تحقق وعدُ الله لخليله عَلَيْهِ السَّلَامُ فالله سبحانه وعد الخليل، والخليل أنجب إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن نسل إسماعيل كان محمد ﷺ الذي بُعث بالإسلام إلى نسل إسماعيل من العرب فحملوا لواء الإسلام وفتحوا بلاد الله، ومنها: فلسطين وما حولها شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، محققين بذلك وعد الله لجدِّهم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بجعل الأرض لنسله من نهر النيل إلى النهر الكبير نهر الفرات.

واتجاهنا هذا بالإضافة إلى أنه يتمشى مع ما تقتضيه حكمة الله وعدالته فإنه لا يتناقض مع ما جاء في التوراة؛ فاليهود يستندون في دعواهم إلى ما جاء في سفر التكوين من وعد الله إبراهيم هذا الوعد الذي يقول: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام وعدًا قائلًا: لِنَسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

وهذا الوعد كان لإبراهيم ولم يكن لإبراهيم ولدٌ بعد، فهو على الحقيقة لم يكن لشخصه، وإنما كان لنسله مِن بعده، كما هي العبارة التي ذكرتها التوراة، وأرادت «سارة» زوج الخليل أن تُحقِّقَ وعد الله إياه، ولما لم يكن له منها ولدٌ، ولم تكن

منجِبة، طلبت من إبراهيم أن يدخل بجاريتها «هاجر» ودخل إبراهيم بهاجر وأنجب منها إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل أن تنجب هي إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن هذا يتضح: أن إسماعيل وذريته أحقُّ بالميراث من إسحاق وذريته؛ لأن إسماعيل كان أولَ قادم، وهو أولُ مَن نِيطَ به تحقيقُ هذا الوعد، كما أن الله سبحانه لم يعطِ إبراهيمَ هذا الوعدَ جزافًا، وإنما جعل ثمنه الاستقامة والكمال [١]، وكما وعدهم الله في حال الاستقامة، فلقد أنذرهم وهددهم في حال الاعوجاج [٢].

ومن ذلك يتضح أكثر: أن الوعد لإسماعيل وذريته من أتباع رسول الله ﷺ لسببين:

الأول: أنه أول من وُلِدَ لأبيه، وأول من تعلق ونِيطَ به تحقيقُ هذا الوعد.

الثاني: أنه وذريته تحققت فيهم شروط الميراث، وهي الاستقامة والكمال والسير على هدي الله والجهاد في سبيله.

وحين نقرر هذه الوجهة ونأخذ بها نصل إلى النقطة التي يتلاقى فيها القرآن الكريم مع التوراة والزبور في وعد الله بميراث الأرض للأتقياء الصالحين، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

(١) تكوين ١٧: ١.

(٢) تثنية ٨: ١٩- ٢٠.

المبحث السادس
المصادر اليهودية

التوراة

والمصادر اليهودية كثيرة ومتعددة، ولكن أهمها: التوراة والتلمود.

التوراة: والتوراة كلمة معناها: الشريعة، أو الأحكام الدينية، وقد اختلف في هذه التسمية، هل هي عربية، أو عبرية؟

وممن قال: إنها عربية: أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب؛ حيث قال: «هي كلمة مشتقة من قولهم: ورت ناري وأوريتها إذا استخرجتُ ضوءَها؛ لأنه قد استخرج بها أحكام شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وهذا تكلف لا مسوغ له، فاللفظة عبرية؛ لأنها تسمية لكتاب نزل على نبي عبري وقوم عبريين، فكان الأظهر أن تكون بلغتهم ولسانهم، يقول الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وحقيقة النطق العبري لهذه اللفظة هو «تورة» ومعناها: الهدى، أو الإرشاد.

والتوراة كتاب يشمل كثيرًا من الكتب الصغيرة، أو الأسفار التي تختلف في موضعها، وكاتبيها، والزمن الذي كُتبت فيه، والأسلوب الذي كتبت به.

وأسفار التوراة غير متفق عليها من بين طوائف اليهود، فمنها: أسفار يعترف بها فريق ويرفضها فريق، ولقد ظل هذا الاختلاف حول أسفار التوراة قائمًا بين طوائف اليهود حتى عام ١٠٠ ب. م، حيث اجتمع رجال الدين اليهودي في بلدة، «جامنيا» واتفقوا على جمهرة أسفار التوراة من حيث عددها، وترتيبها، كما هي عليه الآن، وفي هذا المجمع أحس المجتمعون بخطر الدين النصراني الذي كان قد بدأ ينتشر، فتنازل كل منهم عن خلافاته وتقاربت وجهات النظر بسبب ذلك، ونتيجة لهذا الاجتماع استبعد من التوراة اليهودية جملة من الأسفار اعتبرها المجتمعون غيرَ قانونية، أو غيرَ داخلة ضمن التوراة، وهذه الأسفار تسمى أسفار الأبوكريفا، أي: شبه القانونية.

والتوراة التي أقرَّها هذا المجمع تتكون من تسعة وثلاثين سفرًا، وقد قسمها اليهود إلى ثلاثة أقسام، وهي:

الأول: الناموس.

الثاني: الأنبياء.

الثالث: المكتوبات.

أما القسم الأول: الناموس، فيحتوي على الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي:

١- سفر التكوين.

٢- سفر الخروج.

٣- سفر اللاوين.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التثنية.

فالتكوين: يتكلم عن خلق العالم، وخطيئة آدم، وقصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، ودخولهم مصر حتى موت يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وسفر الخروج: يتكلم عن خروج بني إسرائيل من مصر على يد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقصة موسى مع فرعون، وتلقي موسى الشريعةَ عن ربه في سيناء.

وسفر اللاويين: منسوب إلى «لاوي» من أبناء يعقوب، ومن نسله موسى وهارون عليهما السلام، وهذا السفر يتضمن كثيرًا من الشرائع والعبادات الخاصة ببني إسرائيل.

وسفر العدد خاص بأسباط بني إسرائيل، وعدد كل سبط، وتقسيمهم، وخبر تيه بني إسرائيل في سينا، حتى وصلوا تخوم الأرض المقدسة.

وسفر التثنية: سمي بذلك؛ لأنه يثني ويكرر التعاليم والشرائع التي تضمنتها الأسفار الثلاثة السابقة عليه، وينتهي بموت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتوصيته يشوع بقيادة بني إسرائيل.

والقسم الثاني: الأنبياء، يشمل الأسفار الآتية:

١- يشوع.	٢- القضاة.
٣- صموئيل الأول.	٤- صوئيل الثاني.
٥- الملوك الأول.	٦- المولك الثاني.
٧- أشعيا.	٨- أرميا.
٩- حزقيال.	١٠- هوشع.
١١- يوئيل.	١٢- عاموس.

١٣- عوبديا. ١٤- يونان (يونس).

١٥- ميخا. ١٦- ناحوم.

١٧- حبقوق. ١٨- صفنيا.

١٩- حجي. ٢٠- زكريا.

٢١- ملاخي.

القسم الثالث: المكتوبات المقدسة، وتشمل الأسفار الآتية:

١- المزامير. ٢- الأمثال.

٣- أيوب. ٤- نشيد سليمان.

٥- راعوث. ٦- مراثي أرميا.

٧- الجامعة. ٨- أستير.

٩- دانيال. ١٠- عزرا.

١١- نحميا. ١٢، ١٣- الأيام الأول والثاني.

أما قصة تدوين هذه التوراة فهي قصة التحريف والتبديل الذي طبع عليه بنو إسرائيل؛ فإن الله سبحانه أمر موسى أن يضع التوراة في التابوت، وظل التابوت من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، على ما هو عليه حتى آل أمره إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولكن بعد سليمان حدثت حوادث عجيبة وخطيرة وصلت إلى حد أن ارتد بنو إسرائيل إلى عبادة الأوثان، وتعرض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير عدة مرات، وبني في داخل بيت المقدس مذبح للأصنام، ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها، وسقطت مملكة إسرائيل في الشمال، وبعدها بقيت مملكة يهوذا في الجنوب تعاني صورًا من الاضطراب والفوضى، وكان اتجاهها غالبًا إلى

الكفر والزندقة، وقبيل سقوطها هي الأخرى آل الحكم فيها إلى الملك «يوشيا بن آمون ٦٢٩- ٥٩٨ ق.م»، ومال هذا إلى التدين والرجوع إلى التوراة رجاءَ أن يكون في ذلك إنقاذ مملكته من الدمار والفوضى، وكان يعاصره كاهن اسمه «حلقيا» انتهز فرصة هذا الميل في الملك وادَّعى بعد سبعة عشر عامًا من حكم يوشيا، أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس، ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقيا هذا؛ إذ لا يُعقل أن تكون نسخة التوراة موجودة في بيت المقدس ثم لا يراها أحد قبل حكم يوشيا، ولا خلال السبعة عشر عامًا الأولى من حكمه، ويرى الباحثون أن حلقيا الكاهن انتهز فرصة ميل هذا الملك إلى دين الله والعمل بالتوراة، ثم كتب خلال السبعة عشر عامًا المشار إليها ما أسماه أسفار التوراة، وليس ذلك في الحقيقة إلا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس.

وهذه كانت المرة الأولى التي تظهر فيها التوراة، أو بعض أسفار منها بعد أن ظلت ما يقرب من خمسمائة عام لا يسمع عنها أحد.

ثم ظهرت التوراة مرة ثانية على يد كاهن يسمى «عزرا» سنة ٤٤٤ ق.م.

فقد انتهز هذا الكاهن فرصة الهيام الديني لدى اليهود حين عادوا من الأسر البابلي إلى أورشليم، ثم بنوا الهيكل من جديد، انتهز هذه الفرصة فجمع اليهود، ثم أخبرهم أنه عثر على أسفار الشريعة، ثم أخذ يتلو عليهم هذه الأسفار أسبوعًا كاملًا.

التلمود

التلمود هو المرجع الثاني بعد التوراة التي تقدَّم الكلام عنها، وهو مرجع هام وخطير، وقد اختلف اليهود بالنظر إلى التلمود، فبعضهم يقدم التوراة عليه، والبعض الآخر يقدم التلمود، ولكن الجميع متفقون على أن التلمود هو الدستور الأول والأخير في حياتهم.

نشأة التلمود:

هنالك سببان أساسيان هما اللذان أدَّيا- فيما نرى- إلى نشأة التلمود:

السبب الأول: طبيعة اليهود المنحرفة التي تأبى أن تدين لشرع الله، أو تستقيم على الطريقة، فقد لحق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بربه وترك لبني إسرائيل التوراة واضحة محددة، ولكن اليهود الذين لم يدينوا لموسى ولم يسلسوا له في حياته، ما كانوا على استعداد لأن يسلسوا لشريعته بعد وفاته، ولما كانت التوراة واضحة المعالم تأخذهم بالشدة وتجذبهم إلى طريق الله في حزم، فلقد تناولوها بالتحريف والتبديل، ولكن هذا لم يكفِهم، فالتوراة مهما بدلوا فيها فهي لا تسعفهم إلى أهوائهم، فلم يكن بُدٌّ من توراة أخرى يخترعونها هم، ويضعون أصولها وفروعها، ويصوغونها حسب أهوائهم وما يريدون! ولكن كيف يكون ذلك؟

تفتقت أذهان رجال الدين اليهودي عن فكرة يصلون بها إلى غرضهم، هذه الفكرة تقول: إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يترك توراة واحدة، وإنما ترك اثنتين، أو ترك شريعتين إحداهما مكتوبة، والأخرى شفوية غير مدونة، فالمكتوبة هي التوراة، والشريعة الشفوية هي التلمود.

السبب الثاني: حياتهم المتقلبة ومعيشتهم غير المستقرة، فلقد نشأ التلمود أساسًا لحل المشاكل اليهودية المتجددة، فحياة بني إسرائيل لم تكن مستقرة على حالة واحدة، بل كانت دائمًا خاضعة للأسر والحرب والقتل والهجرة والترحال، وكانت تقابلهم أحداث جسام وأمور عظام، وكانوا ينظرون في التوراة فيجدونها محددة ومقررة، وتعمى أبصارهم عن طريق الله وأسلوب الشريعة في حل مشاكلهم، ومن هنا كان لا بد من توراة جديدة يصوغونها ويضعون فيها آراءهم وأهواءهم، ويسجل فيها علماؤهم الحلول المناسبة لمشاكلهم وأسلوب حياتهم.

والتلمود يتكون من جزئيين:

١- المشنا.

٢- الجمارة.

فالمشنا هي الأساس وهي التي أُلِّفت أولًا، ثم جاءت الجمارة شرحًا لها وتفسيرًا وتعليقًا عليها، فالمشنا تمثل ما يسمى عندنا بالمتن، والجمارة تمثل الشرح.

والتلمود نوعان: التلمود البابلي، والتلمود الفلسطيني.

وأصل الاختلاف بين التلمودَيْن هو «الجمارة»، أو الشرح فالمشنا، أو المتن واحد عند البابليين والفلسطينيين، ولكن الفلسطينيين، أو اليهود الذين كانوا يسكنون فلسطين أخذوا «المشنا» فوضعوا له شرحًا، واليهود الذين كانوا في أسر بابل وضعوا على نفس «المشنا» شرحًا آخر، وبانضمام المشنا إلى أقصر الجمارتين، أو الشرحين يتكون التلمود الفلسطيني، وبانضمامها إلى أطول الجمارتين يتكون التلمود البابلي، وهو المعترَف به بين جميع طوائف اليهود الآن.

تعليق على المصادر اليهودية

بعد أن تكلمنا عن مصادر الدين اليهودي عند اليهود، نعلق بكلمة موجزة على هذه المصادر، ولن نشملها كلها، بل يكفينا منها التوراة اليهودية، ويكفينا من هذه التوراة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى في محكم كتابه أنه أنزل على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كتابًا يسمى التوراة، وأن هذا الكتاب هداية ونور، قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ويقول تبارك وتعالى:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ١- ٤].

ولكن القرآن الكريم في شهادته هذه كان يقصد توراة أخرى غير هذه التوراة الموجودة بيد اليهود اليوم.

فالتوراة الموجودة بيد اليهود اليوم ليست هي التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١ - أن الكتاب العزيز أخبرنا بتحريفها وتبديلها:

يقول تبارك وتعالى:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣].

ويقول تعالى:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [بقرة: ٧٥].

ويقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٥].

٢ - انقطاع سندها وبطلان نسبتها إلى أصحابها:

فالكوارث التي نزلت باليهود وتشريدهم وطردهم وتقتيلهم كل هذا منع اتصال سند صحيح بين التوراة ومن نُسبت إليهم، فسندها مقطوع، وبخاصة بعد حادثة بختنصر الذي هدم مدينتهم وأحرق هيكلهم، وقتل مئات الألوف منهم، ثم حمل من بقي منهم أسرى إلى بابل، وبعد بختنصر نزل باليهود عشرات من أمثال ما أوقعه بهم، ومن المستحيل بداهة: أن يتصل سند التوراة بكاتبها، أو كاتبيها وسط هذه الويلات.

والتوراة نفسها تحمل دليل بطلان نسبتها إلى أصحابها:

فبالنسبة للأسفار المنسوبة إلى نبي الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نجد عبارات لا يمكن أن يكون قد أوحى الله بها إلى موسى أو كتبها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل لا يمكن أن تكون كُتبت إلا بعد مئات السنين، وهذه بعض الأمثلة:

أ- جاء في سفر التثنية ما يلي:

«فمات هناك موسى عبدُ الرب في أرض موآب حسب قول الرب... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» [١].

ب- وجاء في نفس السفر- أيضًا-:

«فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يومًا»[٢].

ج- وجاء فيه- أيضًا-:

«وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته» [٣].

والواضح من هذه العبارات: أنها لا يمكن أن تكون نزلت من عند الله وحيًا على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا أن يكون موسى هو الذي كتبها، ولكنها بلا أدنى ريب كُتبت بعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعشرات، أو مئات السنين.

د- وجاء في سفر التثنية- أيضًا-:

«ولم يقم بعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه»[٤].

وهذه العبارة لا تقال إلا بعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعد ظهور أنبياء كثيرين، بحيث تمكن قائلها من قياسهم بموسى ثم الحكم بتفضيله عليهم.

---

(١) سفر التثنية ٣٤: ٥، ٦.

(٢) سفر التثنية ٣٤: ٨.

(٣) سفر التثنية ٣٤: ٧.

(٤) سفر التكوين ٣٤: ١٠.

هـ- وجاء في سفر التكوين ما يلي:

«وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم، قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل»[١].

وهذه العبارة لا تقال إلا بعد انقضاء عصر ملوك بني إسرائيل، أو في أثنائه، وبين عصر الملوك وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مئات السنين.

٣- التضارب في أخبار التوراة اليهودية، وتناقضها بالنسبة للحادثة الواحدة:

ففي سفر التكوين يفسر الكاتب سبب تسمية مدينة «بئر سبع» بهذا الاسم فيقول:

«سأل أبي ما لك ما هذه النعاج التي أقمتها وحدها؟ قال إبراهيم: إنك تأخذ من يدي سبع نعاج لكي تكون شهادة لي بحفر البئر؛ لذلك دعي اسم المكان بئر سبع إلى اليوم» [٢].

وفي موضع آخر من نفس السفر يعلل هذه التسمية تعليلًا آخر، فيقول:

«حدث في ذلك اليوم أن عبيد إسحاق جاءوا وأخبروه عن البئر التي حفروا، وقالوا له: قد وجدنا ماء، فدعاها سبعة؛ لذلك اسم المدينة بئر سبع إلى اليوم» [٣].

وذلك تضارب لا يوجد في كتابٍ هو مِن وحي الله تبارك وتعالى.

٤- تعدد نسخ التوراة والاختلاف الكبير بين نسخة وأخرى:

فنسخ التوراة كثيرة ومتعددة ومتضاربة.

---

(١) سفر التكوين ٣٦: ٣١.

(٢) سفر التكوين إصحاح ٢١.

(٣)سفر التكوين، إصحاح: ٢٦.

يقول الأستاذ العقاد:

«اتفق شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها كتبه الخمسة، وأهم هذه النسخ نسخة إلوهيم، ونسخة يهوا، ونسخة الكتبة، أو المسجلين، ومن هذه النسخ: ما كُتب على أيام المملكة الإسرائيلية، ومنها: ما كُتب في النفي بين النهرين، ومنها: ما كُتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون، وأقدمها عهدًا بينه وبين عصر الخليل ما يبلغ ألف سنة» [١].

ويضرب لنا العقاد أمثلة على التضارب والاختلاف بين نسخ التوراة، فيقول:

«فمنها: أن اسم البلد الذي ولد فيه الخليل ورد في بعض النسخ ولم يكن موجودًا في نسخ أخرى، فأضيف إليها للمضاهاة بينها، ومن النسخ: ما ورد فيه عهد الميراث لإبراهيم، ومنها: ما لم يرد فيه هذا العهد قبل مولد إسماعيل» [٢].

٥- اختفاء كثير من الكتب المقدسة وعدم وجود أي أثر لها:

فالكتب الموجودة الآن في توراة اليهود ليست هي كل الكتب المقدسة عندهم، بل توجد كتب كثيرة ذُكرت على ألسنة أنبيائهم واستشهدوا بها، ولكنها غير موجودة الآن بين توراتهم، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

أ- ففي ختام كتاب الأيام الأول يقول الكاتب:

«وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي، وأخبار ناثان النبي، وأخبار إسرائيل، وأخبار جادو الرائي...».

فالكاتب ذكر هنا ثلاثة كتب: صموئيل، ناثان، جادو الرائي، ولا يوجد منها في التورة الآن سوى صموئيل، أما ناثان، وجادو الرائي فلا وجود لسفريهما، فقد فُقدا.

---

(١) أبو الأنبياء (ص٣٤).

(٢) أبو الأنبياء (ص١١٧-١١٩).

ب- وفي الإصحاح التاسع من سفر الأيام الثاني يقول الكاتب:

«بقية أمور سليمان الأولى والأخيرة أما هي مكتوبة في أخبار ناثان النبي، وفي نبوءة أخيا الشيلوني، وفي رؤى يعدو الرائي».

وقد تقدم أن أخبار ناثان النبي غير موجودة، وكذلك نبوءة أخيا الشيلوني ورؤى يعدو الرائي، فإنهما غير موجودين على انفصال، أو اتصال بغيرهما من الكتب.

جـ- وفي الإصحاح الرابع عشر من كتاب الملوك الأول يقول الكاتب:

«وأما بقية أمور يربعام كيف يحارب، وكيف ملك؛ فإنها مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل».

وجاء في الإصحاح السادس عشر من هذا السفر- أيضًا-:

«أن بقية أمور يعشا وما عمل وجبروته أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لإسرائيل».

وليس في كتاب أخبار الأيام لملوك إسرائيل شيء عن هذه الأمور، ولا عن أمور تاريخية وردت الإشارة إليها مردودة إلى نحو ثلاثين كتابًا لم يَبقَ منها أثر محفوظ.

هذا ويؤخذ من مراجع كثيرة كالكتاب الرابع لعزرا، وكتب الحكيم فيلون، وكتب آباء الكنيسة الأولين، أن أسفارًا غير الأسفار الخمسة كانت تُنسب إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ [1].

٦- القصص والتُّرَّهات الباطلة التي امتلأت بها توراة اليهود، والتي لا يُعقَلُ حدوثها لأنبياء الله، ولا ثبوتها ضمن وحي الله، ومن ذلك:

أ- يقرر سفر التكوين:

أن الله- سبحانه وتعالى عما يصفون- خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح من التعب في اليوم السابع.

---

(١) أبو الأنبياء (ص٣٤).

ب- ويقرر هذا السفر- أيضًا-:

أن الله تصارع مع يعقوب من العشاء حتى الفجر، فلم يستطع أن يتغلب عليه، ولم يستطع أن يفلت من يدي يعقوب حتى توسل إليه أن يطلقه.

جـ- ويقرر سفر التكوين- أيضًا-:

أن لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ سكن مع ابنتيه في الجبل فسقته ابنته الكبرى خمرًا حتى سكر ثم زنى بها، وفي الليلة التالية زنى بابنته الصغرى وحملت منه البنتان، وجاءت كل بنت بولد من أبيها.

د- وتقرر التوراة اليهودية:

أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ زنى بامرأة جندي من جنوده، ثم قتله ظلمًا لكي يتزوجها، وحملت منه هذه المرأة سفاحًا، وأن نتيجة هذا الزنا كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هـ- وتقرر التوراة اليهودية- كذلك-:

أن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عصى أمر ربه فتزوج من الأجنبيات، ثم في آخر عمره أشرك بالله وارتدَّ وعبد الأصنام مع نسائه، وأنه مات على الكفر بالله.

ونحن إذ نستغفر الله العظيم من رواية هذه الأباطيل، فإننا نقرر أن هذا قليل من كثير في توراة اليهود الباطلة.

وهو حسبنا تبصيرًا ببطلان هذه المصادر على اختلافها.

خاتمة

الحمد لله أولًا، والحمد لله آخرًا، ثم الحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله، وعلى إخوانه، وآله، وأصحابه، وأتباعه.

أما بعد:

فهذه العجالة في تاريخ اليهود واليهودية هي ما تيسر بحول الله تعالى وتوفيقه إنجازه، ونأمل أن نكون قد وفقنا فيه.

وندعو الله سبحانه أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون في ميزاننا يوم نلقاه.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد ألَّا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

محمود محمد مزروعة

محتويات الكتاب

مقدمة ٥

الفصل الأول: بنو إسرائيل بين القرآن العظيم والتوراة اليهودية ١١

المبحث الأول: في أسماء بني إسرائيل ١٣

في تسميتهم بالعبريين ١٣

في تسميتهم باليهود ١٥

في تسميتهم ببني إسرائيل ١٧

المبحث الثاني: القصص الإسلامي ١٩

تاريخ قديم ١٩

العبريون ٢٢

القصص الإسلامي ٢٣

المبحث الثالث: الرواية اليهودية ٤٤

المبحث الرابع: بنو إسرائيل ٥٨

بنو إسرائيل في مصر ٥٨

مولد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٦٢

بعثة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٦٣

بنو إسرائيل في التيه ٦٧

المبحث الخامس: بنو إسرائيل في فلسطين ٧٢

عهد القضاة (١١٣٠ - ١٠٣٠ق.م) ٧٣

عهد الملوك: (١٠٣٠ - ٩٣٥ق.م) ٧٥

عهد انقسام المملكة ٧٨
سقوط المملكة الإسرائيلية وزوالها ٨١
المشردون ٨٦
الفصل الثاني: رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن العظيم ٩٣
المبحث الأول: الرسالة والرسول ٩٥
بعثة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٩٥
التوراة كتاب الله المنزل على موسى ٩٦
التوراة فيها حكم الله ٩٧
رسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تقوم على نفس الأسس العقدية التي قامت عليها رسالات الرسل السابقين ٩٩
المبحث الثاني: صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٠١
صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في العبادات ١٠١
صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأحكام والحدود ١٠٣
صور من شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المعاملات والآداب ١٠٤
الفصل الثالث: اليهودية الدين الباطل في التوراة المحرَّفة ١٠٧
المبحث الأول: الذات الإلهية ١٠٩
أسماء الذات ١٠٩
حقيقة الذات ١١١
علاقة اليهود بالإله ١١٥
المبحث الثاني: المناصب الدينية ١١٨
الآباء، أو البطاركة ١١٨
الأنبياء ١١٩
الكهنة ١٢٤

المبحث الثالث: اليوم الآخر وموقف الفرق اليهودية منه ١٢٦
المبحث الرابع: الفرق اليهودية ١٣١
الفرقة الأولى: الفريسيون ١٣١
الفرقة الثانية: الصدوقيون ١٣٣
الفرقة الثالثة: الكتبة ١٣٤
المبحث الخامس: الشعب المختار ١٣٥
المبحث السادس: المصادر اليهودية ١٤٢
التوراة ١٤٢
التلمود ١٤٧
تعليق على المصادر اليهودية ١٤٩
خاتمة ١٥٦
محتويات الكتاب ١٥٧

تم بحمد الله